وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامـعـــــة 8 مـــاي 1945 قالمـة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

موقف الفاطميين من العدوان الصليبي على بلاد الشام وأثره على العلاقات الإقليمية ما بين 5هـ-6هـ/11م-12م.

مذكـــرة مقـــدمة لـــنيل شـــهادة المـــاستر في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إعداد الطالبين:
* شكيرو نسرين
* سلميوي رمزي

إشراف الأستاذ:
د.طوهارة فؤاد

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
أ.د خالدي مسعود	أستاذ التعليم العالي	رئيـسا	جامعة 8ماي 1945 قالمة
أ.د طوهارة فؤاد	أستاذ محاضر"أ"	مشرفا ومقررا	جامعة 8ماي 1945 قالمة
أ.د يوسف أحلام	أستاذ محاضر"ب"	مـناقشا	جامعة 8ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 1443-1444م/2022-2023م.

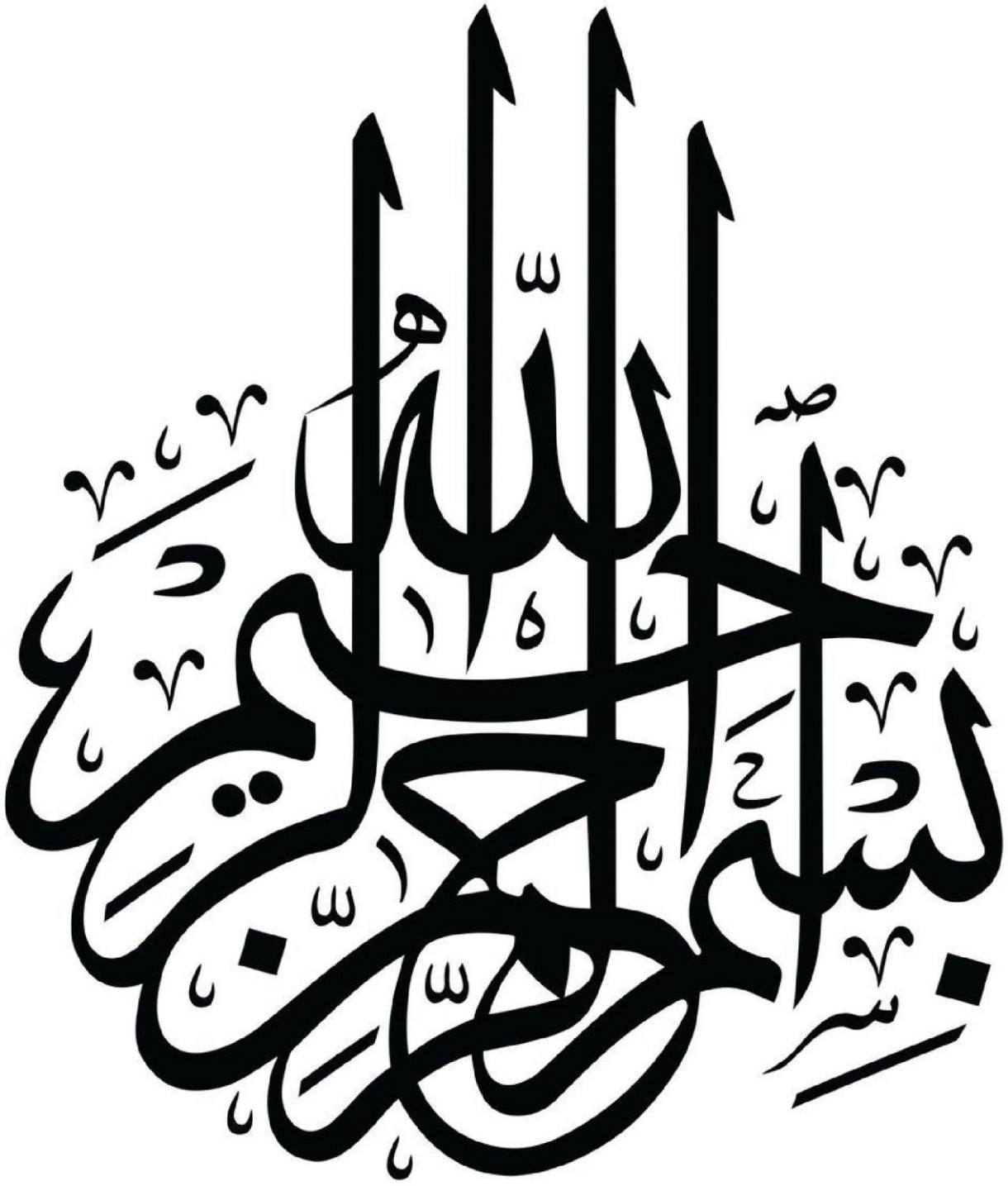
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُلِ مِنَ الرَحْمَةِ وَقُلْ رب ارحمهُمَا كَمَا رَبَيَانِي صَغِيرًا"

إلى الذي كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى الذي علمني العطاء دون انتظار

إلى الذي علمني أبجدية الحروف ورسم لي حدودي وكان لي خير الصديق

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ولا تفيه كلمات الشكر والعرفان بالجميل "**أبي العزيز** "

إلى من أرضعتني الحب والحنان، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى القلب الدافئ إلى الوحيدة التي وثقت في قدراتي والتي قالت لي {الوحيد الذي يصبح خريجا}

إليك يا " **أمي الغالية**"**–رحـمك الله–**

إلى التي أحببتها حد اللانهاية ونسجت لي غلائل لا تخرقها أظافر الزمن

إلى من ركع العطاء أمام قدميها إلى التي غمرتني بدعواتها إلى بسمة الوجود" **أمي الحبيبة** "

إلى القلوب الطّاهرة الرقيقة والنفوس البريئة (**إخوتي**): بسمة، بلال، شعيب.

إلى إخوتي: طاهر لكحل، إسلام بن الشيخ، فريد عيايشة، الأستاذ حوامرية عبد الله، وليد بوشلاغم، شاهين صالح صالح، عبداوي عزالدين، إلى عائلة **"أدرينالين"** قالمة، فرقة **بابي**، إلى **أصدقاء الحي**، إلى **أقاربي**، وكل **أصدقائي** دون استثناء وعائلة **"سلميوي"**.

إلى "**أساتذتي الكرام**" الذين وقفوا بجانبي وأناروني بنور العلم

إلى كل من تسعهم ذاكرتي ولا تسعهم مذكرتي

سلميوي رمزي

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى التي أتشرف بحمل اسمه، الى الذي أفتدي بخطوات رسمه، عينا سهرت ويدا تعبت، وزرعت

وحق لك الحصاد: **{أبي الحبيب "محمد"}**

إلى مدرسة الحب والوفاء، إلى التي جعلت تحت أقدامها الحنان، إلى ضياء قلبي ونور حياتي،

زهرة بيضاء كلما ابتسمت ذهب عني العناء: **{أمي الحبيبة "نسيمة"}**

إلى من هم أقرب من روحي إلى من شاركني حضن أمي:

*إلى أختي عفاف وزوجها حليم

* إلى أختي إنصاف **"دودو"** وزوجها حكيم

إلى ضياء قلبي وقرة عيني أخي الوحيد: **ضياء الدين**

*إلى روح من فقدتهم ولا يزالان يعيشان في قلبي جدي **صالح** وجدي **مسعود**،

وجدتيّ **زبيدة**، **عقيلة** أطال الله في عمرهما، وإلى عمتي **وردة** وخالاتي **عزيزة**، **سلاف** حفظهما الله ورعاهما

وكل الأقارب والأهل دون استثناء

الى من قاسمني هذا العمل المتواضع **"رمزي"**

*إلى من كانوا ملاذي وملجئي إلى من جعلهم الله إخوتي إلى من سأفتقدهم أصدقائي وزميلاتي:

إلهام-نوال-شيماء-زينب-نور الهدى **"زينة"**.

*إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

*إلى طلبة التاريخ خاصة: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي دفعة **2023/2022م**

إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

شكيرو نسرين

الشكر والتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى سيدنا ونبيينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وصدق رسولُ الله حين قال:" من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له"

نتقدم أولاً بالشكر لله حل ثناؤه وتقدست أسماؤه أن حبب إلينا العلم، ويسر لنا سبله ورزقنا تلقيه على أيدي أهله الطيبين والمخلصين، ونسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ومن تمام شكره تعالى، أن نشكر أهل الفضل فضلهم وجهودهم، وأن نعترف لهم بحقهم، وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل المشرف "الدكتور طوهارة فؤاد" الذي سار معنا إلى آخر المطاف، على كافة مجهوداته القيمة التي بذلها والتوجيهات التي قدمها والثقة التي وضعها والتي كانت حافِزًا لإتمام هذا العمل المتواضع، جزاه الله عنا خير الجزاء.

كما نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لجميع أساتذة قسم التاريخ الذين تلقينا على أيديهم مناهل العلم طيلة مشوارنا في الجامعة.

وتحية شكر واحترام للأستاذين المؤطرين لمساعدتنا على إتمام التربص:

عشي عادل- جاهمي علي.

ولا ننسى أن نقدم امتناننا وتقديرنا إلى كل من قدم لنا يد العون من قرِيبٍ أو بعيد على إتمام هذا العمل المتواضع.

*نسرين شكيرو

*سلميوي رمزي

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

الرمز أو الاختصار	المدلول
ص	صفحة
ج	جزء
مج	مجلد
ط	طبعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تص	تصحيح
مر	مراجعة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ
د.د.ن	دون دار النشر
(د.ب)	دون بلد النشر
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	توفي
Numèro =n	العدد
Volume=v	المجلد
p.p.	صفحة

مقـدمة

مـقدمـة

تعرَّض الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط مع نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لعدوان عسكري أوروبي عرف عند المؤرخين بالعدوان الصليبي ، مستهدفا المدن الساحلية لبلاد الشام عامة وبيت المقدس على وجه الخصوص، حيث تمكَّن الصليبيون في ظل الانقسامات و الخلافات القائمة بين القوى الإسلامية سياسيا ومذهبيا و في أول حملة لهم سنة 490هـ/1096م من السيطرة العسكرية على المنطقة و تأسيس أربع إمارات صليبية واحدة ببلاد الجزيرة (إمارة الرها) وثلاثة ببلاد الشام (إمارة أنطاكية وبيت المقدس وطرابلس) في غضون عقد من زمن.

ورغم محاولات بعض القوى السنية في الجزيرة وبلاد الشام مقاومة العدوان الصليبي ورده عسكريا إلاّ أنَّها باءت بالفشل أمام قوة الصليبين، وفي هذا الوقت بالذات أثيرت الكثير من التساؤلات حول الموقف المريب والغامض للفاطميين، مما حدا بالمؤرخين المعاصرين الى اتهام القادة الفاطميين بالتقصير والتفريط في صد المعتدين الى درجة التعاون والتنسيق مع الأمراء الصليبين نكاية في السلاجقة ورغبة منهم في السيطرة على المناطق الحيوية في بلاد الشام.

أولا- دواعي اختيار الموضوع:

جاء اختيارنا لدراسة موضوع موقف الفاطميين من العدوان الصليبي على بلاد الشام وأثره على العلاقات الإقليمية من عدة اعتبارات:

- ✓ أن الموضوع جدير بالاهتمام والدراسة.
- ✓ الرغبة في معالجة هذا النوع من الدراسات.
- ✓ التعرف على الأوضاع السائدة قبيل الغزو الصليبي لبلاد الشام.
- ✓ التعرف على وقائع وأحداث هذا الغزو ومعرفة أسبابه.
- ✓ تقديم الإضافة البحثية ولو بشكل متواضع في مجال الحروب الصليبية.

ثانيا-أهداف البحث:

- التركيز على موقع الغزو الصليبي (بلاد الشام) وإبراز القوى الفاعلة في المنطقة سياسيا وعسكريا.
- إبراز دور ومكانة بلاد الشام في المشرق الإسلامي
- كيفية تعامل الفاطميون مع التحركات الصليبية في بلاد الشام.
- فهم الموقف الفاطمي تجاه العدوان الصليبي وتحليل الأسباب والدوافع التي دفعت الفاطميين، إما للتعاون مع الصليبيين أو لمقاومتهم.
- دراسة تأثير الأحداث في النظام الفاطمي، وكذلك على العلاقات الدبلوماسية بين الدول والقوى الإقليمية.

ثالثا-حدود الدراسة:

-**الحدود الموضوعية:** تتناول الدراسة موقف الفاطميين من العدوان الصليبي على بلاد الشام وأثره على العلاقات الإقليمية.

-**الحدود الزمنية:** يتناول هذا البحث حقبة زمنية تمتد ما بين القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي إلى القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي، حيث بدأت الحملات الصليبية في 1095م، بإعلان البابا أوربان الثاني للحرب الصليبية الأولى وتوالت بعدها سلسلة الحملات الصليبية التي استهدفت بلاد الشام والمناطق المحيطة بها.

-**الحدود المكانية:** امتدت على نطاق واسع من بلاد الشام والتي تضم (أنطاكية وحلب ودمشق وبيت المقدس).

رابعا-إشكالية الدراسة:

*كيف كانت أوضاع الشرق الأدنى الاسلامي قبيل الحروب الصليبية؟

*ماهي الأسباب الحقيقة للحملة الصليبية الأولى؟

*وماهي النتائج التي ترتبت عنها؟

*كيف استطاع الصليبيون الاستيلاء على بيت المقدس، وجعلها عاصمة للملكة؟ وكيف تمكنوا من السيطرة على الأراضي وجعلها محور الاستيطان لضمان البقاء بالمنطقة؟

*كيف تعامل الفاطميون مع التحركات الصليبية في بلاد الشام؟ وماهي علاقاتهم مع القوى السنّية المجاورة لهم؟

* لماذا استغل الفاطميون وجود الصليبين للتوسع على حساب السلاجقة السنة؟ وهل كان تحالفهم مع الصليبيين مؤشرا على نجاح الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام؟

*هل يمكن القول إن العوامل الدينية أثرت على موقف الفاطميين وعلاقتهم بالصليبيين؟

خامسا-المنهج المتبع:

أما فيما يخص المناهج التي التزمناها في هذه الدراسة فقمنا بتوظيف منهج البحث التاريخي من خلال:

-المنهج الوصفي:

كان بغرض وصف وتتبع الوقائع والأحداث وشرحها من خلال جمع المادة العلمية عن طريق المصادر والمراجع التي تحدثت عن الحملة الصليبية الأولى وموقف الفاطميين منها.

-المنهج التحليلي:

من خلال استقراء وتحليل الأسباب التي أدت الى زحف الصليبيين لبلاد الشام، وكذلك توضيح موقف الفاطميين من خلال التسلسل التاريخي للأحداث.

سادسا-خطة البحث:

انطلاقا من المادة العلمية التي تمكنا من جمعها، ووفقا للمنهج المتبع تمت معالجة موضوع الدراسة في خطة بحثية تتكون من: ثلاث فصول رئيسية وخاتمة، وقد جاءت الخطة متضمنة لعناصر الموضوع على النحو الآتي:

فقد كان الفصل الأول بعنوان:" **الحوض الشرقي للبحر المتوسط مجال للصراع والمواجهة**"، حيث تحدثنا عن أوضاع الشرق الأدنى الاسلامي قبيل الغزو الصليبي من خلال توسع السلاجقة في بلاد الشام، التي جعلت موقعها الاستراتيجي تحت أعين الاستيطان البشري في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي (الخامس هجري) وتدخل بلاد الشام مرحلة حرجة من التنافس على عرش السلطنة وكون هذا من العوامل التي ساهمت في انتصار الصليبيين في بلاد الشام، وتحدثنا أيضا على أسباب قيام الحملة الصليبية الاولى من حيث بواعث الحروب الصليبية في قسمها الخاص كان أمرا مهما للغاية وجاء عرضها عميقا ومتوازنا، ولقد جعل المؤرخين الباحث وراء الحملة الصليبية سببا معينا واحدا ورئيسيا، وينكر كل دون من اسباب ودوافع وجاء ايضا خطاب البابا اوربان الثاني وتم فيه عقد مجلس كبير فالغال في مقاطعة اوفيرني كليرمونت وكذا الحملة التي سبقت الحملة الصليبية، وتعتبر جزءا منها وهي الحملة الصليبية الشعبية كانت واسعة النطاق وتحدثنا على احداث ووقائع الحملة الصليبية الاولى من خلال حملة الامراء وتداعياتها واهم النتائج لها، و المبحث الرابع والأخير يتناول نتائج الحملة الصليبية الاولى في بلاد الشام وحصار انطاكيا التي كانت تعتبر عاصمة الامبراطورية البيزنطية وحصار بيت المقدس وسقوطه بعد فترة من الحصار من قبل الصليبيون.

أما الفصل الثاني وعنوانه : "**الفاطميون والعدوان الصليبي على بلاد الشام** " الذي تناول التحالف الفاطمي الصليبي وأثره على حصار انطاكية وبيّنا فيه أن السلاجقة في مواجهة للصليبيين منذ البداية وقاموا بالمواجهات فور دخولهم الاراضي الإسلامية، وفي المبحث الثاني كان هناك احتلال

صليبي على بيت المقدس وموقف الفاطميين منه حيث وصلت القوات الصليبية الى مدينة الرملة واحتلوها بعد هجر سكانها وعبروا المدن الساحلية التابعة للفاطميين دون مواجهة أي عوائق، و المبحث الثالث والأخير تناولنا فيه موقف الفاطميين من الصليبيين عقب سقوط عسقلان وعلاقتهما بنور الدين محمود حيث كانت الخلافات تشتد في الوقت التي احتل فيه الصليبيون مدينة عسقلان.

أما فيما يخص الفصل الثالث والأخير تحدث عن: "**علاقات الفاطميين مع القوى المحلية في بلاد الشام** "والتي كان لها موقفها المناوئ من الفاطميين الذين غيروا من مذهب السكان المحليين واستحوذوا على مكانة زعمائهم، وصادروا ممتلكاتهم، وتطرق الفصل نفسه الى علاقات الفاطميين مع السلاجقة السنيين الذين تمكنوا من دخول بلاد الشام، مستغلين ضعف الفاطميين، تلك العلاقات التي كان لها أثرها في موقف الفاطميين من السلاجقة مطلع الحملة الصليبية، وأخيرا انتهت الدراسة بخاتمة عرضنا فيها لأهم النتائج التي تم التوصل اليها.

سابعا-عرض وتحليل لأهم مصادر البحث ومراجعه:

ولإثراء الموضوع اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر التي كان بعضها شاهدا على هذه الأحداث وهذه الفترة والبعض الآخر كان قريب من هذه الحقبة، فكان شارحا ومكملا لبعض جوانب النقص من شهود العيان كما اعتمدنا على عدد من المراجع التي بينت وشرحت البعض من جوانب هذا الموضوع.

1-المصادر العربية:

وأيضا من المصادر العربية التي اعتمدنا عليها كتاب "**الكامل في التاريخ**" لمؤلفه ابن الأثير الذي جاء فيه معلومات مفصلة عن فترة الحروب الصليبية.

ومن المصادر أيضا كتاب "**معجم البلدان لياقوت الحموي**" الذي أفادنا في معرفة الأماكن والأقاليم في بلاد الشام والأناضول.

وكذلك كتاب "**سفر نامة**" للمؤلف ناصر خسرو وكانت رحلته تلك بعد استيلاء الفاطميين على مصر وبلاد الشام بحوالي 100 سنة، وقبل الاحتلال الصليبي لتلك المناطق بحوالي نصف قرن، وقد أفاد الكتاب الدراسة عند وصف العديد من المدن التي وصفها خسرو في كتابه.

وتأتي أهمية كتاب وليم الصوري "**تاريخ الحروب الصليبية**" في أنه يتناول حقبة طويلة من تاريخ الصليبيين امتدت حتى سنة 580هـ / 1184م، وذلك عوضاً عن أنه كان معاصراً لأحداث الحروب الصليبية، وكان شاهد عيان عليها.

وقد أفاد الكتاب الدراسة في معظم فصولها، إذ أنه أمدنا بمعلومات وافرة عن مسير الجيوش الصليبية من أوروبا ثم توجهها إلى القسطنطينية، ثم سيرها إلى آسيا الصغرى ومنها إلى بلاد الشام، وتناول كذلك علاقة الصليبيين بالقوى الإسلامية مطلع دخولهم تلك المناطق.

وأمدنا وليم الصوري بالعلاقات السياسية والعسكرية التي سادت بين الصليبيين والفاطميين منذ احتلالهم لبيت المقدس مرورا باحتلالهم لمدن الساحل الشامي الحصينة، كما بين الصوري في كتابه أثر مدينة عسقلان على العلاقات الصليبية الفاطمية، وزودنا بموقف ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية من أملاك الفاطميين بمصر وبلاد الشام.

أما عن كتاب "**النجوم الزاهرة** " لابن تغري فهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي لها حتى سنة 872هـ / 1468م، وقد اختلف ابن تغري بردي في طريقه طريقة الحوليات إذ جعل كل فترة من فترات الملوك والسلاطين فصلاً قائماً بذاته، ثم ذكر السنين وحوادثها تباعاً داخل الفصل، وما يميز هذا الكتاب اهتمامه الواسع بالتاريخ الفاطمي خاصة السياسي منه، وبذلك كان الكتاب مصدر مهم من مصادر هذه الدراسة.

2-المصادر الأجنبية:

فمن المصادر التي اعتمدناها شخص بالذكر أول مصدر وشاهد عيان على هذه الحملة وهو "**كتاب أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**" لمؤلف مجهول وهو الذي جاءت من خلاله دراستنا

هذه، والذي ورد فيه معلومات كانت ملمة بكل جوانب الحملة الأولى من خطبة البابا أوربان الثاني حتى وقعة عسقلان، وبالتالي اعتمدنا عليه في دراستنا ذلك بحكم أن موضوعنا كان من خلاله.

ومن المصادر المعتمدة أيضا كتاب " **تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم**" الجزء الأول لستيفن رنسيمان والذي أفادنا في معرفة مجمع كليرمونت ومتى تم انعقاده، وكل ما يخص هذا المجمع والخطبة، حتى سقوط بيت المقدس.

إضافة إلى كتاب " **تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس**" لبطرس توديبود، والذي من خلاله كنا قد استفدنا منه في الكثير من المحطات في موضوعنا، وعلى سبيل الذكر اعتمدناه في تعريف بعض الشخصيات التي شاركت في الحملة الصليبية الأولى.

3-المراجع:

ودعمنا بحثنا هذا بمجموعة من المراجع التي سهلت علينا شرح بعض الأحداث من أمهات المصادر وشهود العيان على هذه الفترة، فنذكر كتاب "**أضواء جديدة على الحروب الصليبية**" لسعيد عبد الفتاح عاشور، الذي أملنا بالكثير عن ماهية الحركة الصليبية من خلال كتابه هذا ومؤلفات أخرى له في نفس المجال.

وأيضا اعتمدنا من المراجع على كتاب " **قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين الزنكي**" لراغب السرجاني، الذي اعتمدناه في معرفة أسباب هذه الحملة.

كما يأتي بعده الكتاب الذي ألفه المؤرخ سعيد عبد الفتاح عاشور الذي يحمل عنوان: "**الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى**"، ماهيتها وبواعثها. إن هذا المرجع فيه كثير من السرد والتعليق على الأحداث في هذه الحملة، والتي تعتبر بحق زحف مهول للأوربيين نحو بلاد الشام، والتي سعى الغرب من خلالها تأسيس إمارات والاستيطان بأرض الشام، وقد استفدت منه في معرفة العلاقات بين هذه الإمارات وغيرها من الإمارات الإسلامية.

ثامنا-الدراسات السابقة:

لقد أثرت الدراسات السابقة موضوع الدراسة في كثير من مواطنها، ولا يقتصر ذلك الإثراء على فصل بعينه، بل أفادت تلك الدراسات الدراسة في جميع فصولها، وشتى مراحلها التاريخية بدءاً من ظهور الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ثم سيطرتها على مصر وبلاد الشام، مروراً بعلاقاتها مع القوى المحلية في الشام، ثم علاقاتها مع الصليبيين، وانتهاء بإلغاء الخلافة الفاطمية في مصر، وموقف الصليبيين من ذلك.

كما عرفتنا تلك الدراسات على اهتمامات الباحثين والدارسين بفترة الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي، وما توصلت إليه دراساتهم، خاصة الأوضاع السياسية والعسكرية بين الصليبيين والفاطميين في بلاد الشام ومصر في ذلك الوقت.

وإن من أهم الدراسات السابقة التي أفادت الموضوع هي أمجد حافظ حسين طاعة بعنوان: "العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر والشام" اهتمت هذه الدراسة بالعلاقات السياسية والعسكرية في بلاد الشام بين الفاطميين والصليبيين وركزت على سرد أحداث الحملة الصليبية الأولى التي من خلالها وضحت كيفية الغزو الصليبي ودخوله الى بلاد الشام.

تاسعا- الصعوبات:

أما عن العقبات التي واجهتنا فتتمثل في تناثر المادة العلمية في المصادر التاريخية، عوضا عن نظرة الدراسات التاريخية التي تناولت رسم صورة حقيقية لهذه الحقبة السيرة للجدل من التاريخ الإسلامي، وقد تم التغلب على هذه العقبات من خلال المثابرة، والبحث الجاد عن المصادر التي تجمع في ثناياها تلك المعلومات والحقائق، لاسيما مصادر تاريخ المشرق الاسلامي.

وتظل هذه الدراسة عملا متواضعا في تاريخ موقف الفاطميين من العدوان الصليبي على بلاد الشام وأثره على العلاقات الاقليمية التي سادت خلال الحروب الصليبية، دراسة سعت الى تسليط الضوء على فترة تعد من اهم الفترات.

فإن أحسنا فبتوفيق من الله عز وجل، وإن قصرنا فمن أنفسنا والشيطان.

الفـــــصل الأول:

الحوض الشرقي الأبيض المتوسط مجال للصراع والمواجهة

- ✓ **المبحث الأول:** أوضاع الشرق الأدنى الإسلامي قبيل الغزو الصليبي.
- ✓ **المبحث الثاني:** أسباب قيام الحملة الصليبية الأولى.
- ✓ **المبحث الثالث:** أحداث ووقائع الحملة الصليبية الأولى.
- ✓ **المبحث الرابع:** نتائج الحملة الصليبية الأولى في بلاد الشام.

المبحث الأول: أوضاع الشرق الأدنى الإسلامي قبيل الغزو الصليبي

أولا: الأوضاع السياسية والعسكرية:

شهدت منطقة الشرق الاسلامي خلال القرن 5 هـ /11 م أوضاعا سياسية وعسكرية هامة كان لها الأثر الكبير في اعادة رسم الخارطة السياسية و المذهبية، إذ يلاحظ بوضوح حالة الاستقرار والفوضى العارمة التي مرت بها المنطقة ، وقد تجلت مظاهرها في تفاقم التجزئة وفي قيام كيانات اجتماعية مختلفة المرجعيات والاتجاهات الدينية والسياسية والمذهبية والعرقية ، ولم تعد الخلافة العباسية تستمد شرعية وجودها سوى من الناحية الدينية ، فأصبحت سلطتها بذلك دينية أكثر منها سياسية، إذ لم يكن للخليفة العباسي من الأمر شيء سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة بعد أن انتزع منه البويهيون كل سلطة فعلية بالرغم من أنهم كانوا هم أنفسهم بيادق في أيدي القادة العسكريين الأتراك ذلك أن سيطرة هؤلاء على بغداد وأجزاء م بلاد فارس إنما كانت في الحقيقة تعبيرا عن تعاظم النفوذ التركي العسكري[1].

أ-توسع السلاجقة في بلاد الشام

استطاع السلاجقة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري إقامة دولة قوية في خراسان وبلاد ما وراء النهر، وأعلنوا تبعيتهم للخلافة العباسية في بغداد، ولم تلبث هذه الدولة الفتية أن اتسعت بسرعة هائلة وتمكنت من بسط سيطرتها على إيران والعراق، وتوج "طغرل بك" إنجازاته العسكرية بدخول عاصمة الخلافة في (25 من رمضان 447هـ= 23 من ديسمبر 1055م)، معلنًا عصرًا جديدًا لدولة الخلافة العباسية، أطلق عليه المؤرخون عصر نفوذ السلاجقة؛ حيث كانت بيدهم مقاليد الأمور، ولم يبق للخليفة العباسي سوى بعض المظاهر والرسوم[2].

---

[1]- إيهاب علي محمد زاهر، الحياة السياسية والاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري\ الحادي عشر الميلادي، مجلة أفاق للعلوم، ع7، جامعة الجلفة، 2017، ص 89

[2]- محمد سهيل طقوس، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق،429- 590 هـ /1038- 1194 م، دار النفائس، ط1، الأردن، 2010، ص 07-48

بعد وفاة طغر لبك (455 هـ/ 1063م)[1] تولى العرش ابن أخيه ألب أرسلان (455 / 465هـ) وخطب له ببغداد في شهر ربيع الثاني من سنة 456 هـ .، ولقب بالسلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن داود، وانصرف للعمل على تحقيق أهداف السلاجقة في التوسع وبناء دولة مترامية الأطراف، وكان لا يقل جدارة عن عمه "طغر لبك"، وقد هيأت لـه الظروف شخصية كـان لها أثر كبير في رسم السياسيـة السلجوقيـة (الوزير نظام الملك) [2].

تمكن ألب أرسلان في فترة وجيزة من فرض سيطرته على البلاد والبيعة بولاية العهد لولده "ملكشاه"[3] من بعده ، وما كاد الأمر يستقر لملكشاه حتى انصرف إلى إكمال ما بدأه أبوه من الفتوح، وبسط نفوذ دولة السلاجقة حتى تشمل جميع أنحاء العالم الإسلامي[4]، فولَّى وجهه أولاً شطر بلاد الشام[5] التي كانت معظم مدنه تحت حكم الدولة الفاطمية ، فحرص على تأمين هذه

---

[1]– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1987م، مج8، ص360–361.

[2]– محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق، قتل سنة 465هـ.

أنظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، مج8، ص394.

[3]– ملكشاه: أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب بجلال الدولة.

أنظر، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1977م، مج5، ص283.

[4]– الحسيني معدّي، صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق وأسطورة الغرب، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2013م، ص15.

[5]– بلاد الشام: يحدها نهر الفرات شرقا والبحر الأبيض المتوسط من الغرب، والبحر الأحمر وعريش مصر جنوبا، وشمالا جبال طوروس المطلة على منطقة الاناضول (آسيا الصغرى) عرفت في العصر الإسلامي بالثغور الشامية والجزرية، وجاءت باسم أرام في التوراة، والتي تعني بلاد الشام أو الشام أو الشآم. وسميت الشام لأنها شامة الكعبة وقيل من تشاؤم الناس إليها، ومنهم من يجعلها شاما واحدا ومنهم من يقولوا شامات، ويقولون الشام الأعلى، وسميت الشام بسام بن نوح عليه السلام كما بها أمهات المدن مثل بيت المقدس وحلب ودمشق وفي الساحل أنطاكية وطرابلس.

أنظر: المقدسي شمس الدين أبو عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل، ط2، ليدن ، 1906م، ص152؛ ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ، معجم البلدان، دار صادر، ط1، بيروت،1977م، مج3، ص312 ، القلقشندي أبي العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ج4، ص90، الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، 1981م،ص5، محمد بيومي مهران، بلاد الشام (مصر والشرق الأدنى القديم)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص11." الملحقين رقم01و02"

المنطقة بعد انتزاعها من الفاطميين، وأسند حكمها إلى أخيه تاج الدين تتش في سنة (470هـ/ 1077م)، وفوّضه لإتمام ما يستطيع فتحه من البلاد المجاورة وضمها إلى سلطان السلاجقة، وأصبحت بذلك حلب بعد أن اضطر أميرها محمود بن مرداس إلى الخضوع وتقديم الولاء للسلطان السلجوقي، ورحيله عن المدينة في رجب من عام463 هـ في حوزة السلاجقة، أما مدينة الرملة فقد تمكن الأمير أتسز بن أوق الخوارزمي سنة 463هـ/1071م من دخولها و السيطرة عليها ، لينتقل إلى بيت المقدس وينتزعها من أيدي الفاطميين بعد أن انقلب المقدسيون ضد الفاطميين ، كما استولي على ما جاورها من أعمال عسقلان ، و قصد دمشق وحاصرها إلاّ انه لم ينجح في الاستيلاء عليها[1]، وبعدها استولى الأمير أرتق بن أكسب التركماني على بيت المقدس، وأسس دولة عرفت بدولة الأرتقيين[2].

على الرغم من الاتساع الضخم والقوة العظيمة التي وصلت إليها الدولة السلجوقية في عهد السلطان ملكشاه إلا أنها بموته سنة (485هـ/ 1092م)، انفرط عقدها وتمزقت وحدتها وقوتها، وانتهى عصر القوة والمجد، وبدأت مرحلة الضعف، وذلك بسبب النزاعات والصراعات التي نشبت بين أبناء البيت السلجوقي، حيث ثارت بينهم الحروب الداخلية مما انعكس سلبًا على الدولة السلجوقية [3] ، وقد انجلى هذا النزاع الذي دام ما يزيد عن سنتين عن انتصار بركياروق بن ملك شاه وتسلمه لعرش السلطنة السلجوقية [4].

إذا كان النزاع حول العرش قد انتهى فإن آثاره لم تنته، فقد ذهبت وحدة السلاجقة وتماسكهم، وأصبحوا شِيَعاً وأحزاباً ومعسكرات متباينة تتصارع فيما بينها، وانقسمت دولتهم إلى خمس ممالك

---

[1]– حامد زيان غانم، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983م، ص41–42.

[2]– عارف الباشا العارف، تاريخ القدس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994م، ص66.

[3] – ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج26، ص278.

[4]- الراوندي محمد بن علي: راحة الصدور وآية السرور، تصح: محمد إقبال، د.د.ن، ليدن، 1921، ص142– 143.

متنافسة هي: سلطنة فارس وعلى رأسها السلطان بركياروق نفسه الذي كانت له السيطرة على بغداد، ومملكة خراسان وما وراء النهر وعلى رأسها سنجر، ومملكة حلب وعلى رأسها رضوان بن تتش، ومملكة دمشق وعلى رأسها دقاق بن تتش، وأخيراً سلطنة سلاجقة الروم وعلى رأسها قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش[1].

ب- تفكك وحدة بلاد الشام وانقسامها

شهدت بلاد الشام قبل وصول الحملة الصليبية الأولى مرحلة حرجة، فمنذ دخولها تحت نفوذ السلاجقة سادَتْها الفوضى، فلم يعمل الحكام الجدد على حكمها حكماً مباشراً، بل قبلوا بوجود أُسر محلية قدّمت لهم الولاء، ومن ذلك أنهم تركوا حكم حلب في بداية الأمر إلى بني مرداس، وحكم طرابلس إلى بني عمار، وشيزر إلى بني منقذ، وكذلك حمص إلى وُلاة محليين، وقد كان وُلاة السلاجقة أو مقطعوهم في بلاد الشام على خلاف فيما بينهم وصل إلى حد الاقتتال أحياناً، فعانت البلاد في عهدهم محناً لم ترَ ما يماثلها[2].

ومن الأمثلة التي نقدها نموذجا لذلك مدينة دمشق التي كانت تحت حكم أتسز التركماني، فقد عانت دمشق أثناء حصاره لها وزمن حكمه محناً لم ترَ ما يماثلها، ومرت بفترة من أحلك فترات حياتها وأصعبها، ومما لا شك فيه أن الوضع المتردي لمدينة دمشق تفسر الموقف السلبي الذي أبدته هذه المدينة عند مجيء الغزاة الصليبيين إلى الشام وبعد احتلالهم لبعض أجزائها بفترة طويلة[3].

---

[1] - سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط، القاهرة، 1972، ص 70، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ص 96

[2] – أمينة البيطار، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق، ط1، دمشق 1980، ص 247- 286

[3] – سهيل زكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الرسالة، ط1، دمشق: 1972، ص 159-160

توحّدت غالبية أجزاء بلاد الشام لك تحت حكم تاج الدولة تتش السلجوقي لسنوات قليلة وبعد وفاته دخل السلاجقة عامة في مرحلة الضعف والتجزئة، وأثر ذلك على وضع بلاد الشام السياسي، فكانت النزاعات الداخلية والصراعات العسكرية بين القوى التي كانت تحكم البلاد على أشدها، في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يستعدون وينتهزون الفرصة للتوسع في المنطقة [1] .

بعد مقتل أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان سلطان دمشق ومؤسس دولة سلاجقة الشام سنة (488هـ/1095م) أصبحت بلاد الشام مجزأة سياسيا إلى مملكتين، مملكة دمشق وعلى رأسها دقاق بن تتش، ومملكة حلب وعلى رأسها رضوان بن تتش، مما يؤكد أن الصراع على تولي العرش والرغبة في الانفراد بالحكم كان سببا رئيسيا في التمزق السياسي والضعف العسكري في المنطقة، كل ذلك كان في مصلحة الفرنجة الصليبيين، حيث كانت جيوشهم تزحف بشكل تدريجي باتجاه الشام بعد أن انتصرت على السلاجقة في منطقة آسيا الصغرى[2].

عندما وصل الخبر عن زحف الصليبيين نحو بلاد الشام، لم يكن للسلاجقة الوقت الكافي لتوحيد صفوفهم واتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة الخطر المحدق بهم، مما جعلها تتفرق لتبقى انطاكية تحت الحصار لمدة طويلة [3].

---

[1]– خاشع المعاضيدي, سوادي عبد محمد و آخرون تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، مديرية دار الكتب للطباعة و النشر ، جامعة الموصل، ط2 ، الموصل، 1986، ص11.

[2]– مبروك بن مسعود ، النشاط الاقتصادي لمملكة بيت المقدس الصليبية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص المغرب الوسيط، إشراف: د/عبد العزيز بوكنة، جامعة الجزائر2 ، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2018–2019م ، ص 26–27.

[3]– مبروك بن مسعود، المرجع نفسه، ص 27.

ج- واقع الامارات العربية في بلاد الشام:

كانت بلاد الشام مقسّمة إلى عدة إمارات عربية أهمها : إمارة بني مرداس في حلب، وإمارة بني عمار في طرابلس ، وإمارة بني منقذ في شيزر، أما إمارة بني مرداس فقد عاشت الفترة الحرجة قبيل الحروب الصليبية بقليل، إلا أنها تصدت لتوسعات بيزنطة المنقطعة على امتداد ذلك القرن ووقفت في بداية الأمر أمام كل المحاولات التوسعية للسلاجقة في بلاد الشام، لكنها أعلنت بصراحة ولائها للفاطميين سنة (399هـ/1008م) بعد تمكن صالح بن مرداس من الاستيلاء على مدينة الرحبة وتوسيع مجاله [1]، بينما إمارة بني عمار في طرابلس ، وإمارة بني منقذ في شيزر فقد عاشتا أحداث الحروب الصليبية ذاتها و قاومتا أيضا القوى الأخرى فاطمية وسلجوقية وبيزنطية [2].

يعد صالح بن مرداس (414-419هـ / 1024-1029م) أول أمراء أسرة بني مرداس وهي أسرة عربية شيعية أسست الدولة المرداسية شملت حلب ومنبج وبالس والرقة والرحبة ثم حمص وصيدا وبعلبك وطرابلس حكمت حلب على أنقاض الدولة الحمدانية، سنة (414 هـ/1024م) من مرتضى الدولة منصور بن لؤلؤ الجراحي نيابة عن الخليفة الفاطمي الظاهر بن الحاكم بأمر الله الفاطمي، فأرسل إليه الفاطميون جيشاً بقيادة أنوشتكين أمير دمشق[3] ، التقى بصالح وجيشه عند موقع الأقحوانة شرقي بحيرة طبرية، فقُتل صالح وأحد أولاده عام(419هـ/1029م) وحمل رأسيهما إلى مصر، وكان حكمه لحلب ستة سنوات، ثم خلفه بالحكم ابنه نصر الذي نجا من تلك المعركة[4]، وبعد مقتل نصر سنة (429هـ/1038م) تولى أخوه ثُمال الحكم، وأثناء فترة

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج1، ص60.

[2]- مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص 28.

[3]- يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي "المعروف بصلة تاريخ أوتيخا"، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان، 1990م، ص390.

[4]- ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط1، القاهرة، 1997م، ج1، ص204.

حكمه شهدت إمارته الرخاء التام، رغم المناوشات و الضغوطات التي كانت بينه وبين الحاكم الفاطمي المستنصر، مما دفع ثُمال سنة (448هـ/1056م) منح مدينة حلب للفاطميين، ولكن لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل استغل محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس واحتلها عام 452هـ/1060م، وبسبب الخلافات وكثرة الضغوطات الخارجية سقطت الامارة. [1]

إن الظروف التي مكنت إمارة بني مرداس وبقية الإمارات الأخرى من البروز إلى الوجود والتناحر فيما بينها بسبب التجاذبات السياسية والمذهبية، هي نفسها التي أسهمت في انهيارها، فقد خسر بنو مرداس إماراتهم إثر تدخل دولي من قبل الفاطميين والسلاجقة والعقيليين ففاز بها العقيليين قبل أن تنتقل الى سيطرة السلاجقة.[2]

أما إمارة بني عمار الشيعية وفق المذهب الشيعي الاثني عشرية فتعود أصولها إلى قبيلة كتامة المغربية، وكان شيوخ هذه القبيلة ممن لهم الصدارة في مؤسساتها الإدارية والعسكرية، نذكر منهم الحسن بن عمار الذي كان من أبرز رجال الخليفة الفاطمي العزيز بالله، وأول من استقل بطرابلس من بني عمار فهو أبو طالب الحسن بن عمار المشهور بأمين الدولة، وقد ظل يعد نفسه تابعا للدولة الفاطمية حتى سنة (462 هـ /1070 م).[3]

رغم تشيع بني عمار إلاّ أنهم لم يحكموا الامارة من منطلق طائفيا أو كونوا لهم تحالفات وخصوم تنطلق من أبعاد تخص المذهب بل تعاملوا مع الامارات المجاورة لهم وفق حسن الجوار والمصلحة العامة ووفق وحدة الصف الاسلامي[4].

---

[1]– ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص352–353.

[2]–محمد مرسي الشيخ، الامارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، الاسكندرية، 1980، ص446

[3]– عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، ط1، القاهرة، 1900، مج1، ص 165

[4]– علي حسين درة، إمارة بني عمار في طرابلس مجاهدون حتى النهاية، مكتبة الكتب، ط1، القاهرة، د.ت، ص 39

بعد موت مات أمين الدولة سنة (464هـ /1072 م) تولى بعده ابن أخيه علي بن محمد بن عمار المعروف بجلال الدولة الذي استمر حكمه حتى سنة 492 هـ، وتولى بعده أخوه عمار بن محمد بن عمار ذو السعدين المعروف بفخر الملك وبقي حتى سنة 501 هـ، حيث ذهب إلى بغداد مستنجدا بالسلاجقة على الصليبيين.[1]

ظهرت إمارة بني منقذ في شيزر على يد مؤسسها علي بن مقلد بن نصر ، حيث استرد شيزر من البيزنطيين سنة(474 هـ/1081 م)، وجعلها مقرا للإمارة، خضعت عسكريا لحكم الفاطميين سنة(383هـ/993م) عندما استولى عليها القائد الفاطمي بنجوكتين ، فاستنجد واليها بالإمبراطور باسيل الثاني ، حيث قام بمحاصرتها وسلمت له بعد ذلك القلعة ، ونزلت بها حامية رومية قوية، وسرعان ما تحولت بعد ذلك الى مستوطنة للأرمن وظلت ثمانين سنة تحت سيطرة الروم حتى عام (474 هـ / 1081 م) وهو العام الذي استرجعها فيه عز الدولة سديد الملك أبو الحسن علي جد أسامة بن منقد، من أيدي الإمبراطور الكسيس كومنينوس. [2]

[1]– عماد الدين الاصفهاني، المصدر السابق، مج1، ص 165–166

[2]– عامر غسان الشدود، الإمارة المنقدية في شيزر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستر في تاريخ العرب والاسلام، إشراف: د/ وفاء جوني بوكنة، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سوريا، 2016م، ص21

د- تفكك الحكم الفاطمي وانهياره ببلاد الشام:

تراجع الحكم الفاطمي في بلاد الشام بشكل واضح بسبب التنافس الكبير بين الامارات الحاكمة في بلاد الشام، والصراعات السلجوقية على السلطة، إلى جانب ذلك كانت مصر تمر بأزمة خطيرة كان لها تأثير سلبي على البلاد، إلى جانب تمرد الجيش حيص كان له تداعيات خطيرة على الحكم[1].

لم يدرك الفاطميون حقيقة العدوان الصليبي لحظة مجيء الصليبيين، إذ اعتقدوا أنه لا يمكن أن يتعدى حدود أنطاكية، خاصة وأن هذه الأخيرة خضعت للحكم البيزنطي، حيث بادروا بمراسلة القادة الصليبيين من أجل التعاون لمحاربة السلاجقة والاطاحة بهم وأيضا اقتسام بلاد الشام[2].

اغتنم الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي فرصة الاشتباك الصليبي السلجوقي في شمال الشام، وهاجم بيت المقدس وأخذها بقوة من الأراتقة سنة 491هـ/1098هـ، وبهذه النزاعات والانقسامات تمكن أمراء الحملة الصليبية الأولى، من دك حصون مدن الشام والاستحواذ عليها، بل والاستيطان فيها ما يقارب القرنين من الزمان[3].

[1]- مبرروك بن مسعود، المرجع السابق، ص32.

[2]- حامد زيان غانم، المرجع السابق، ص46.

[3]- مسفر بن سالم عريج الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار المطبوعات الحديثة، ط1، جدة، 1986م، ص51.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية في الشام

شهدت الحالة الاقتصادية في بلاد الشام نشاطا ملحوظا قبيل الغزو الصليبي، وقد شمل هذا النشاط كل القطاعات المنتجة من زراعة وصناعة وتجارة، كونها تمثل الركيزة الأساسية لحياة السكان، فبفضل الظروف المناخية وتنوع حجم الامكانات المتوفرة حققت الزراعة نجاحا متميزا، كما ازدهرت الصناعة والتجارة كنتيجة لذلك [1]:

أ-الزراعة:

احتلت الزراعة قطاعا مهما في الحياة الاقتصادية، حيث تعد أراضي بلاد الشام من أجود الأراضي الصالحة للغرس والزراعة، وبالأخص أراضي فلسطين ومدن الساحل الشامي، التي تنفرد بخصوبتها وتنوع تربتها وكثرة إنتاجها [2].

تنتج الأرض في بلاد الشام خيرات متنوعة لقوله عز وجل: " والْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ والْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ"[3]، وهذا من نعم الله وفضله على البشر، حيث وضع عليها الخراج [4]، الذي هو أحد إيرادات بيت مال المسلمين[5].

---

[1]- زينب خير الدين، الأوضاع السياسية للساحل الشامي ما بين (585-690هـ/1189-1291م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، إشراف: اكتمال إسماعيل، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2016-2017م، ص35؛ مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص33.

[2] - حازم أحمد سليم الحلاق، الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والسياسية للمشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، (334- 490هـ/945-1097م)، رسالة ماجستير، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م، ص 92.

[3]- سورة الرحمن، الآيات 10-12

[4]- الخراج: ما يخرج من غلة الأرض، ويقال هذه التفاحة طيب ريحها طيب خراجها طعم ثمرها، أنظر، المعجم الوسيط، اشراف: شوقي ضيف وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة،2004م، ص224.

[5]- أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1991م، ص105.

ونظرا لأن الزراعة كانت عماد الحياة فقد كان الخلفاء مسؤولون عن حفر الآبار وإنشاء القنوات، اذ لم يقتصر دور الدولة على إمدادات المياه فحسب، بل عملت أيضا على التخفيف عن الفلاحين، من خلال التقليل من قيمة الضرائب وإلغاء البعض منها وأحذ نسبة معينة من العائدات[1].

على الرغم من عدم وجود خراج في الأرض غير المزروعة، فإن هذا بحد ذاته يشجع على ممارسة الأنشطة الزراعية، وبسبب خصوبة الأراضي في بلاد الشام، أصبحت أرضًا تتنوع المحاصيل فيها كالأرز في أريحا وبيسان، وقصب السكر الذي كان ينمو نتيجة الظروف المواتية[2].

ومن مدن بلاد الشام برّاس التي كانت غنية بالقمح والشعير بسبب توفر المياه[3]، أما في المناطق التي تتميز بندرة المياه فكان فلاحوها يعتمدون بالدرجة الاولى على مياه الأمطار[4]، لأن القمح هو الغذاء الأساسي للسكان بدليل غلاء ثمنه وزيادة الطلب عليه[5].

وحسب قول النويري[6] : " اعتمد سكان الشام على تقسيم الأراضي الزراعية إلى جزئين، يزرعون جزءًا واحدًا ويتركون الجزء الآخر، في المقابل يزرع المتروك ويريح الذي كان مزروعا، مما يزيد بالطبع من القدرة الإنتاجية للتربة."

---

[1]– أحمد عبد الباقي، المرجع السابق، ص105.

[2]– المرجع نفسه، ص109.

[3]–ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح. سهيل زكار، دار الفكر، د.ط، بيروت،1988م، ج1، ص123.

[4]– أحمد عبد الباقي، المرجع نفسه، ص108.

[5]– أحمد السيد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، دار التضامن، ط1، بيروت، 1988م، ص44.

[6]– النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي بوملحم، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 2004م، ج8، ص187.

بالإضافة الى هذه المحاصيل كان الزيتون ذو أهمية كبيرة، حيث كان زيت بلاد الشام مثالا للجودة والنقاء،" وقيل الشام أكثر بلاد الله زيتونا" [1]، كما ذكر ناصر خسرو[2] : " وعمل الفلاحة لأهل معرة النعمان الحبوب خاصة القمح، ويكثر فيها التين والزيتون واللوز والعنب والفستق، حيث تعتمد المدينة على مياه الآبار والأمطار".

توجد أيضا ببلاد الشام بساتين ومزارع للخضر والفواكه خاصة في طرابلس، حيث يكثر فيها الليمون وقصب السكر والموز وغيرها، وكذلك يوجد قصب السكر في صيدا[3]. أما ببيت المقدس ففيها محاصيل متنوعة من أشجار التين والزيتون وغيرها[4] ، ومن بين مدن بلاد الشام في فلسطين نجد غزة العامر ساحلها بالبساتين، و " أجل فاكهتها التين والعنب، والبعض من النخيل"[5].

ويزرع في حلب السمسم والقطن والبطيخ، والخيار والعنب والدخن والمشمش والذرة والتفاح والتين، وهذا كله بالاعتماد على ماء المطر[6]، كما كان هناك العديد من مدن بلاد الشام التي أنتجت المحاصيل والفاكهة، وكان من بينها عسقلان، حيث تكثر فيها أشجار النخيل وجميع أنواع التمور والرمان، وأن تفاح لبنان طعمه لذيذ ورائحته طيبة، وتشتهر في نابلس بزيت الزيتون وزيتها وأشجار الكروم ببيت المقدس، وكما يزرع النخيل في أريحا إضافة الى السكر الكثير والموز[7].

---

[1]– الثعالبي أبي منصور عبد الملك النيسابوري، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، د.ط، مصر، 1985م، ص532.

[2]– ناصر خسرو علوى، سفر نامة، تر: يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر، 1993م، ص56.

[3]– المصدر نفسه ، ص60.

[4]– نفسه، ص67.

[5]– القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص98.

[6] – ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص284.

[7]– القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، د.ط، بيروت، ص142.

ب-الصناعة:

تعد الصناعة الحجر الأساس في النشاط الاقتصادي لبلاد الشام، لكون المنطقة غنية بالموارد والمنتجات، وهذا ما يفسر تعدد وتنوع الصناعات المحلية المشتقة من موادها، أهمها زيت الزيتون، إذ ينتج سكانها كميات كثيرة منه لدرجة أنه اشتهر بنقائه وجودته، حتى قيل عنه: " الزيت الركابي، كان يحمل على الإبل من الشام، وهي أكثر بلاد الله زيتونا"[1] وتعد بيت المقدس من أكثر المدن انتاجا لزيت الزيتون، حيث كان يجمع ويخبأ في الآبار ثم يصدر الى معظم بقاع العالم[2].

كما ازدهرت صناعة الصابون وكانت مدينة بالاس من المدن التي ارتبط اسمها بهذه المادة، هذا إلى جانب صناعة الأخشاب المنتشرة في العديد من المدن الساحلية للشام، والتي كانت متمركزة في حصن القينات، حيث يقطع الخشب وينقل الى مصر ودول أخرى[3].

ويصنع الحصير في مدينة طبرية ومنه حصير الصلاة، كما ازداد بناء السفن في المدن الساحلية، حيث كان يتواجد بمدينة حيفا عمال متخصصون في صناعة السفن والتي تسمى الجودي[4]، وهناك رخام كثير بألوان وأنواع متعددة في مدينة الرملة[5].

وقد اشتهرت الشام بصناعة الزجاج، وذلك بتوفر المواد الأولية ومن المدن المنتجة للزجاج صيدا وحلب ودمشق وأنطاكية، حيث يضرب به المثل في الرقة والصفاء، وكما أورد الثعالبي النيسابوري، حيث قال بعض الحكماء" أرفق بالعدو كما يُرفق بزجاج الشام، إلى أن تجد

[1]- الثعالبي النيسابوري، المصدر السابق، ص532.

[2]- ناصر خسرو، المصدر السابق، ص67.

[3]- مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص37.

[4]- ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص64.

[5]- المصدر نفسه، ص66.

الفرصة، فإما أن يضرّ به الحجر فيُقضّه، وإمّا أن تضربه بالحَجَر فترُضّه"[1]، وقد كانت صور أيضا يعمل بها جيد الزجاج، والفخار وبها الثياب البيض المحمولة في كل البقاع[2].

ج- التجارة:

نظرا لكثرة المواد المنتجة في مدن بلاد الشام وتنوعها عرف النشاط التجاري رواجا كبيرا، فقد كانت كل مدينة مرتبطة بسوق محددة، فمدينة القدس يسوق بها القطن والجبن والمرايا والإبر والحبال وقدور القناديل والثياب، ومدينة بيسان يباع فيها الرز والتمور، ومدينة صور الزجاج المخروط والسكر، واشتهرت حلب بالثياب والقطن والنسيج، أما طبرية فقد ارتبط اسمها بالكاغد [3].

تعد التجارة الطريقة الوحيدة للتعامل مع الإنتاج الزراعي والصناعي، حيث أصبح التجار يحصلون على أرباح كبيرة من تجارتهم، نتيجة لكثرة الطلب على المنتجات، "ومن عجائب حلب أن في قَيْسارية البزّ (محلات الثياب) عشرون دكانا للوكلاء، يبيعون في كل يوم متاعا قدره عشرون ألف دينار ... وما في حلب موضع خراب أصلا"[4].

أما ما كانت تستورده الشام فكانوا يأتون من بلاد الزنج شرق إفريقيا خاصة العاج المستخرج من أنياب الفيلة، ويصدرونه الى الشرق الأقصى سيما الصين، وكانوا أيضا يجلبون الذبل

[1]- الثعالبي النيسابوري، المصدر السابق، ص532.

[2]- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مج1، ص365-366.

[3]- حازم أحمد سليم الحلاق ، المرجع السابق، ص101.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق ، مج2، ص284.

(ظهور السلاحف) من أجل صناعة أحسن الأمشاط، وكذلك صناعة أغطية السروج من جلود النمور الحمراء[1]، بالإضافة إلى جلب الذهب والرقيق وجوز الهند(النارجيل) من بلاد إفريقيا[2].

ونجد في بلاد الشرق الأقصى والأوسط فيستحضرون الخيزران، والفلفل وسرنديب الماس والياقوت والبقم الذي يستعملونه للعلاج من سم الأفاعي، والمسك والعود والقرنفل، والذهب وبعض أنواع الخشب كالساج والصندل والأبنوس، وأنواع أخرى من المنتجات[3]. وقد كان لسيوف الهند يضرب بها المثل في الصفاء والجودة[4]، وقد استحضروا صمغ الشجر(القاطر) من سُقُطرى[5].

[1]– آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت ، مج2، ص332.

[2]– ابن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط1 ، د.ت، ج4، ص70.

[3]– ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1995م، ج1، ص153.

[4]– الثعالبي النيسابوري، المصدر السابق، ص533.

[5]– ياقوت الحموي، المرجع السابق، مج3، ص227.

ثالثا: الأوضاع الدينية في الشام

يتشكل المجتمع الشامي من عدة طوائف ونحل ومذاهب عاشت على مدار القرون الماضية حالة من الود والوئام، وتنتمي هذه المجموعات إلى ديانات وعرقيات مختلفة، ساهم كل منها في بناء حضارة بلاد الشام.

أ-الأقليات العرقية:

سكنت بلاد الشام عدد من الأقليات العرقية أهمها الأكراد[1] والأتراك[2] وكذلك الأرمن[3]، إضافة إلى اليهود الذين استوطنوا شمال الشام، وبالتحديد أنطاكية واللاّذقية، حيث كانت لهم أحياء يمارسون فيها أنشطتهم المختلفة، كما كان لديهم أيضا وجودا في نابلس والقدس وطبريا ودمشق[4]، ونتيجة لذلك فإن التركيبة العرقية لم تكمن في بادئ عهدها متناغمة في، وإن كان معظم هؤلاء من العرب والمستعربين يتكلمون اللغة العربية[5].

أثر التنوع العرقي والطائفي في الشام سلباً على مصير المنطقة، بسبب المنافسة الشرسة بين مختلف الأجناس والطوائف والنحل، وزيادة الانقسام والتشتت بينهم، واستفاد الصليبيون بلا شك من الوضع الذي سمح لهم يعكس حجم الصراع لصالحهم والاستيلاء على المنطقة[6].

---

[1]- الأكراد: ينسبون إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وقيل هم من ولد عمرو ميزيقياء بن عامر بن ماء السماء، وقيل من بني حميد بن طارق، وينتهي نسبهم إلى أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وهم عدة قبائل منها: بنو كوران والهذبانية والبشنوية. أنظر: أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، تاريخ الفارقي، الدولة المروانية، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959م، ص49.

[2]- الأتراك: من أحد الشعوب البدوية التي عاشت في آسيا الوسطى والتي تنتمي إلى الجنس ural-altai. أنظر، زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط1، د.ب، د.ت، ص9.

[3]- الغامدي، المرجع السابق، ص322-323.

[4]- محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط3، بيروت، 2009م، ص49.

[5]- الغامدي، المرجع نفسه، ص329.

[6]- مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص43.

ب-الطوائف والنِّحل:

ظهرت الطوائف والنِّحل في بلاد الشام في شكل مجموعات دينية مذهبية عرفت بأسماء ومعتقدات مختلفة نذكر منها:

- **الموارنة**:

طائفة مسيحية تقطن في سواحل بلاد الشام وخاصة في الشمال، تعود تسميتهم إلى مارون الراهب السرياني الذي عاش في شمال الشام خلال القرن الرابع وانتقل اتباعه لاحقًا إلى جبل لبنان ليقترن اسمهم به منذ القرن العاشر الميلادي مؤسسين بذلك الكنيسة المارونية [1]، حيث استقروا في مناطق مختلفة في الشام من بينها: جبة المنيطرة، وجبيل، والبترون، وعكار وجبة بشرى، وقد كانوا أشد عداوة للمسلمين، وتجلى ذلك في وقوفهم الى جانب العدو الصليبي خلال حملتهم الأولى على منطقة الشام[2].

- **الـــدروز**:

يسمون أنفسهم الموحدون وهم طائفة وإثنية دينية عربية تُدين بمذهب التوحيد ذو التعاليم الباطنية ، الذي تعود أصوله إلى مذهب الإسماعيلية إحدى المذاهب الإسلامية، وإلى الدولة الفاطمية بالقرن العاشر، كما ترجع جذور الدروز إلى غرب آسيا [3] ، هؤلاء قالوا بفكرة تأليه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، حيث أصبح أهل السنة يكفرونهم، وحول أماكن تواجدهم في الشام، واد التيم ، وجبل السماق ، والسفوح الشرقية من جبل الشيخ ، وأفامية ، وحوران وإقليم صفد وغيرهم، وهي أماكن ذات مسالك ودروب وعرة، مما جعلهم ينطوون على أنفسهم وينعزلون عن غيرهم وممارسة توجهاتهم الفكرية والعقدية[4].

---

[1]- جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، دار الكتب الجامعية، ط3، الإسكندرية، 1971م، ص313.

[2]- مبروك بن مسعود، المرجع السابق، ص43.

[3]- عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1973م، مج2، ص509.

[4]- مبروك مسعود، المرجع نفسه، ص44.

- **النصيرية:**

طائفة نشأت من الإسلام الشيعي وهم من غلاة الشيعة العلويون يقدسون علي بن أبي طالب، الذي يعتبر أول إمام للمدرسة الإثني عشرية، أسسها محمد بن نصير خلال القرن التاسع، وقد كان ابن نصير من تلاميذ الإمام الإثني عشري العاشر علي الهادي والإمام الحادي عشر الحسن العسكري، لهذا السبب يُطلق على العلويين أيضًا اسم النصيريين ، قاموا بتأليه الإمام علي رضي الله عنه، وفي نفس الوقت يبجلون قاتل الإمام علي عبد الرحمان بن ملجم، لأنهم يرون من خلال القيام بذلك، قد فصل اللاهوت عن الناسوت في شخصه، وبين أهل السنة وبينهم عداوة قوية، حيث يتواجدون في اللاذقية وحماه وطرابلس[1].

- **الباطنية:**

الباطنية وصف يطلق على الطائفة التي تقول: «إن النصوص الدينية لها معنيان: أحدهما ظاهر يفهمه الناس بواسطة اللغة، وبمعرفة أساليب الكلام، والثاني باطن لا يدركه إلا الذين اختصهم الله بهذه المعرفة، وهم يَصلُون إلى إدراك هذه المعاني المحجوبة عن عامة الناس بتعليم الله لهم مباشرة. » [2] وقد يشير مصطلح الباطنية إلى عدة فرق إسلامية، منها الإسماعيلية والقرامطة والخرمية، وقد تشير أيضا إلى فرق غير إسلامية كالمزدكية، إلا أنه يطلق بشكل مخصوص على الفرقة الإسماعيلية[3].

قال محمد بن طاهر البغدادي:" اعلموا أن ضرر الباطنية على فرق الإسلام أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية، وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة

[1] – الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1992م، ص192.

[2]– المصدر نفسه، ص201.

[3]–عكام محمود، الموسوعة الاسلامية الميسرة ، دار صحاري ، ط1 ، دمشق ، د.ت ، ج3 ، ص 483

الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا، أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يوما، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطِر"[1].

من خلال ما سبق نستخلص أن هذه الطائفة من أخطر الفرق الدينية في المشرق الاسلامي والتي بدأت تنشر أفكارها ومعتقداتها في كثير من المناطق خاصة في بلاد الشام، وفي بعض الأحيان تلجأ الى سلاح الخيانة والغدر من أجل البلوغ للهدف الأسمى.

[1]– محمد بن الطاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، ص282.

المبحث الثاني: أسباب قيام الحملة الصليبية الأولى

تعرف الحروب الصليبية بانها حركة كبرى انطلقت من الغرب الاوربي المسيحي في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم عسكري استيطاني على البلاد المسلمين وبخاصة في الشرق الادنى بقصد السيطرة عليها وقد انبعثت هذه الحركة نتيجة للأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية والدينية التي سادت غرب أوربا في القرن الحادي عشر واتخذت من استعانة المسيحين في الشرق ضد المسلمين ذريعة دينية للتعبير عن نفسها تعبيراً علمياً واسع النطاق ، ولهذا السبب تعدَّدت آراء المؤرخين في تفسير أسباب ودوافع قيامها ، فبعضها معلن وبشكل صريح حتى وإن لم يكن مقنها ، والبعض الآخر لم يتم الإعلان عنه وهو المبرر الحقيقي في قيام هذه الحملة ويتعلق الأمر بالدوافع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تم اخفائها وراء الدوافع الدينية لكي تكون مبررة[1].

1- الأسباب الدينية:

اعلنت أوروبا أن السبب الرئيسي من هذه الحملة هو:

- اِدّعاء بطرس الناسك اضطهاد المسلمين لزوار بيت المقدس، وانتهاك حرمة مقدساته، وهو من أشهر دعاة الحروب الصليبية، مستغلا عواطف المسيحيين ومشاعرهم ضد المسلمين، وهذا ما يفسر الدعوة إلى تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين وتوفير السلم والأمن للحجاج النصارى نتيجة للمعاملة السيئة التي يتعرضون لها من قبل حكام البلاد الاسلامية التي مروا بها، واستعادة كل الأراضي المقدسة من قبضة المسلمين ووضعها تحت السيطرة المسيحية خاصة بعد تدمير كنيسة القيامة في أوائل القرن الحادي[2].

---

[1]- محمد مؤنس عوض، أ.د سعيد عبد الفتاح عاشور، مؤرخا للحروب الصليبية، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مج02، ع46، 2008، ص20.

[2]- عاشور ، الحركة الصليبية ، ج1 ، ص 28

– اظهار البابوية في صورة الهيئة المتزعمة للعالم المسيحي الغربي خاصة بعد ان اشتد الصراع بين الكنيسة الغربية والدولة البيزنطية حول السيادة على العالم كما وجدوا في ذلك فرصة لبسط سيطرة البابوية على الكنيسة الشرقية لذلك لم يكد الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين يستنجد بالبابا اريان الثاني حتى لبى البابا النداء[1].

اتضح أن الدافع الديني هو الدافع الأساسي لهذه للحملة، وإنقاذ الدولة البيزنطية من المسلمين كان السبب المتداول بين الناس، اضافة الى ادعاءات البابا المبالغ فيها و الموجهة للاستهلاك المحلي في أوربا فقط[2]، والمتناقضة مع شهادات العديد من المسيحين ، يقول المؤرخ تومبسون رداء على ذلك ومفندا تلك المبررات : " إن المسيحيين الذين خضعوا لحكم السلاجقة صاروا أسعد حالا من إخوانهم الذين عاشوا في قلب الإمبراطورية البيزنطة ذاتها"[3] ، بل إن كلام بطريرك القدس ثيودسيوس شخصيا في احدى رسائله الى بطريرك القسطنطينية سنة 255هـ– 829 م امتدح المسلمون وأثنى على قلوبهم الرحيمة وتسامحهم المطلق، وقد ذكر بطريرك القدس في رسالة له قائلا : "إن المسلمين قوم عادلون، ونحن لا نلقى منهم أي أذى أو تعنت".[4]

هذه الشهادات تثبت بما لا يدع مجالا للشك، أن كلام البابا أوربان الثاني عن اضطهاد المسلمين للحجاج المسيحيين ما هو الا افتراء لا أصل له غطاء مكشوف على الدوافع الحقيقية وراء هذه الحملة العنيفة ، وفوق هذا فإننا لم نرى في سلوك المحاربين سواء في رحلتهم الى بيت المقدس أو أثناء حروبهم، أي علامات الزهد أو الورع الذي يصف به المتدينون، بل كانوا في غايه السفاهة و الحمق، وبلغوا الذروة في الشر والإجرام بل لم يتصنفوا بذلك فقط عند تعاملهم

[1]– علي سعود عطية، تاريخ الحروب الصليبية، الشركة المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، مصر، 2010م، ص27 ، راغب السرجاني, قصة الحروب الصليبية، مؤسسة اقرأ ، ط1 ، القاهرة، 2008، ص61.

[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص31.

[3] -Vasiliev: Byzantine Empire, 1, P.393.

[4] - Thomson: Economic & Social History of The Middle Ages; vol, p.385.

مع المسلمين، بل كذلك عند تعاملهم مع النصارى الشرقيين، أو مع نصارى القسطنطينية ذاتها، التي زعموا أنهم جاؤوا لإنقاذها.[1]

لقد كان الدافع الديني موجودا فعلا ولكنه ليس مبررا لهذه الحملة، بل لا ينبغي أن نقتنع به تماما، فالصليبيون لم يكن يعنيهم الدين ولا نصرة الرب، وإن كانوا جميعا يضعون شارة الصليب على أكتافهم ، ويدعون أنهم يريدون المغفرة.[2]

2-الأسباب الاقتصادية:

أثبتت الأبحاث الحديثة دور العامل الاقتصادي في تفسير الحروب الهامة في التاريخ، ونحن مع اعترافنا بوجود بواعث عديدة للحركة الصليبية نؤكد على أهمية العامل الاقتصادي في تلك الحركة، ذلك أن العديد من الدراسات المعاصرة تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوروبا وبخاصة فرنسا في أواخر القرن الحادي عشر، حتى أن البابا أوربان الثاني عبّر في خطابه عن أهمية العامل الاقتصادي وراء الدعوة للحملة الصليبية الأولى بالنسبة للواقع أوروبا آنذاك[3]:

- يؤكد المؤرّخ جيوبرت نوجنت أنّ فرنسا بالذات كانت تُعاني من مجاعة شاملة قبيل الدعــوة للحملة الصليبية الأولى، بحيث ندر وجود الغلات وارتفعت أثمانها ارتفاعاً فاحشاً، مما ترتب عليه حدوث أزمة في الخبز، وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا أن نفسّر لماذا كانت نسبة الصليبيين الفرنسيين المشتركين في الحملة الصليبية الأولى أكبر من الوافدين من أيّ بلد آخر

[1]- راغب السرجاني, قصة الحروب الصليبية ، المرجع السابق، ص62.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص32.

[3]- أحمد بن جبرة، دور المغاربة والأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين5هـ-9هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر-2-، 2010-2011م، ص73.

في غرب أوروبا[1]، فأغلبهم كانت لهم رغبة المنخفضة في الحصول على الأراضي والاقطاعات، والفرار من الأوضاع القاسية الفقيرة والهجرة الى بلاد تعج بالثروات والخيرات المتنوعة.[2]

دفعت المصالح الاقتصادية الخاصة أيضا بالمدن الإيطالية كالبندقية وجنوة وبيزا وغيرهم من البلدان المساهمة في الحروب الصليبية، واستمرت هذه المدن في الحفاظ على علاقاتها التجارية مع القسطنطينية، ومارست التجارة على طول البحر الابيض المتوسط مع مارسيليا ونابون وبرشلونة وتصدت أساطيل جنوة وبيزا لهجمات المسلمين البحرية على شواطئهما، كما رفضت البندقية وجنوة نفسيهما على تجار البحر الأبيض ثم تحولت هذه المدن الى جمهوريات مستقلة غير خاضعة لسلطة الكنيسة.[3]

لقد حرصت هذه المدن الحصول على منتجات الشرق بأسعار رخيصة وبطريق مباشر دون وسيط، وذلك عن طريق تأسيس مستودعات تجارية كبيرة في شرقي البحر الابيض المتوسط،[4] ومقابل هذه الامتيازات قدمت مدن ايطاليا التجارية كثيرا من التسهيلات للمشتركين في الحروب الصليبية، كما قدمت سفنها لنقل الجنود والعتاد[5].

رأت أوروبا في الحملة الصليبية، فرصة لتحقيق أكبر قدر من المكاسب الذاتية على حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعا، من خلال عقد المعاهدات مع القوى الصليبية في الشام[6]

[1]– السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، د.ط ، القاهرة، 1962م، ص45.

[2]– ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي)، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1997م، ج3، ص2008.

[3]– محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس، ط1، بيروت، 2011م، ص41.

[4]– أحمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، القاهرة،1985م، ص63.

[5]– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص64.

[6]– أحمد الشامي، المرجع السابق، ص63.

حصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية مهمة والفوز بثروة الشرق الإسلامي الطائلة، وأن ترف المسلمين في تجارة البحر الابيض المتوسط أتاحت للحروب الصليبية أن تحقق هدفها.[1]

كانت سفن البنادقة والجنوبيين والبيازة تنقل البضائع من مصر والشام الى أوروبا في العصور الوسطى، وكانت سفن البنادقة بصفة خاصة تحمل الجزء الأكبر من تجارة الشرق الى ميناء البندقية، حيث تعرض في سوق ريالتو هناك، لتباع في المزاد العالمي للتجار الالمانيين والإنجليز وغيرهم، وكان سوق ريالتو الكبير في البندقية من أشهر الأسواق التجارية في حوض البحر المتوسط، حيث كانت البضائع الشرقية توضع في عربات وتزحف بها متجهة الى أنحاء أوروبا عن طريق سهل لومبارديا وممرات جبال الألب وطريق الراين، لتصل اخيرا الى تجار التجزئة في شتى البلاد الأوروبية ليتلقفها المستهلكون هناك.[2]

والواقع أن الصليبيين بالشام لم يكن بإمكانهم الاستغناء عن مساعدة الأساطيل البحرية للبندقية وجنوة وبيزا ، والتجار سوف يأخذون مقابلا سخيا نظير هذه المعونة، وهذا المقابل كان عبارة عن امتيازات خاصة تعطي للجمهورية التي تساهم في هذه الحروب المتواصلة، ولم تكن الامتيازات تشمل فقط حرية التجارة في البلاد المفتوحة، وكان التنافس بين الجمهوريات الإيطالية كبيرا جدا، بل كانت تصارع وتقاتل، وما لبثت مارسيليا أن سارت على نهجهم، وتنافست معهم، وأخذت امتيازات قوية في بيت المقدس ذاته.[3]

هكذا اصطبغت الحملة الصليبية من أول أمرها بصبغة اقتصادية استغلالية واضحة، فكثير من المدن والجماعات والأفراد الذين أيدوا تلك الحركة وشاركوا فيها ونزحوا إلى الشرق، لم يفعلوا ذلك

[1]– أحمد الشامي، المرجع السابق، ص64.

[2]– سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط1، الرياض،2009م، ص25. أنظر: الملحق رقم 3، ص122.

[3]– راغب السرجاني، المرجع السابق، ص24.

لخدمة الصليب وحرب المسلمين، وإنما جرياً وراء المال وجمع الثروات وإقامة مستعمرات ومراكز ثابتة لهم في قلب الوطن الإسلامي، بغية استغلال موارده والمتاجرة فيها والحصول على أكبر قد ممكن من الثروة.[1]

3-الأسباب الاجتماعية:

ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى تمايز طبقي كبير، فقد سادت فيه طبقة رجال الدين وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الطبقة الأكبر المغلوبة على أمرها، والتي كان أفرادها يكدحون ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين، وكانت الطبقتان الأوليتان تشكلان أقلية تمثل في مجموعها الهيئة الحاكمة من وجهة النظر السياسية والأرستقراطية السائدة، في حين ظلت طبقة الفلاحين تمثل الغالبية المغلوبة على أمرها والتي كان على أفرادها أن يعملوا ويشقوا ليسدوا حاجة الطبقتين الأوليتين، وكل ما يجمعه القن يعتبر ملكا خاصا للسيد الاقطاعي لأن القن محروم حتى من الملكية الشخصية.[2]

إن الحديث عن الأوضاع الاقتصادية في أوروبا قبيل الحروب الصليبية، هو تغطية للحالة المزرية التي كان يعيشها الفلاحون والعبيد في أوروبا، ففضلا عن قلة الأقوات وانعدام الطعام والشراب، كانت المعاملة في غاية السوء، ولم يكن لهم حقوق بالمرة، بل كانوا يباعون مع الأرض، ولا يسمح لهم بأي نوع من الملكية، والإنسان قد يصبر على الجوع أحيانا لكن الامتهان النفسي والأذى المعنوي، قد يكون أشد ألما من الجوع والعطش، ولذلك رأى العوام الفلاحون في أوروبا أن هذه الفرصة لتغيير نظام حياتهم، والخروج المحتمل من قيود العبودية المذلة، ولذلك

[1]- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، ج1، ص37.

[2]- أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص22. أنظر : الملحق رقم 4 ، ص123.

خرج الفلاحون بنسائهم وأولادهم، وحملوا معهم متاعهم القليل البسيط، لقد كان خروجا بلا دعوة وتغييرا كاملا للأوضاع، وثورة حقيقية على حياة التعاسة والاستغلال.[1]

إن النظام الاقتصادي الذي ساد أوروبا في القرن الحادي عشر للميلاد خاصة إنجلترا وفرنسا وغربي ألمانيا، قضي بأن تعيش الغالبية العظمى من الفلاحين والأقنان والعامة ذليلة تحت سيطرة أقلية مكونة من الأمراء والفرسان الإقطاعي[2] ، وقد وقعوا تحت وطأة الطبيعة التي كانت تقذفهم بنقص المحاصيل والمجاعات والأوبئة بين الحين والآخر[3]، لا سيما شمال فرنسا وغرب ألمانيا.[4]

لقد دفعت الأوبئة في فرنسا الى هجرات جماعية نحو الأماكن المقدسة، ويبدو أن أوربان الثاني كان قد اتخذ خطوات من أجل تخفيف المعاناة التي أحدثها المرض خلال زيارته لفرنسا خاصة وأنه كان على دراية باحتمال وجود استجابة جماعية بل هستيرية لدعوته[5]، لذلك وحدت الدعوة التي دعاها البابا أوربان الثاني لشن حرب صليبية ضد المسلمين تربة خصبة عنت وترعرعت فيها[6]، فقد كانت الأزمة طاحنة في أواخر القرن الحادي عشر الأمر الذي أدى الى قلة القوت وارتفاع الأسعار واشتداد الجوع حتى اضطر الفقراء الى أكل العشب والحشائش[7].

انتشرت في هذا الفترة التنبؤات بقرب ظهور السيد المسيح مرة أخرى وكان على كل شخص مسيحي أن يسرع بالتوبة قبل ضياع الفرصة، وقد قالت الكنيسة بإمكان تحقيق ذلك بالاشتراك

---

[1]– راغب السرجاني، المرجع السابق ص25.

[2]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى)، المرجع السابق، ص12.

[3]– قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، 1990م، ص55.

[4]– أحمد بن جيزة، المرجع السابق، ص39.

[5]– جوناثان ريلي سميث، الحملة الصليبية الأولى، تر: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، د.د ، 1999م، ص69.

[6]– أحمد بن جيزة، المرجع نفسه، ص39–40.

[7]– سعيد عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، القاهرة، 1964م، ص11.

في الحج والحرب الصليبية المقدسة[1]، وكما فسر المؤرخ عاشور أنه لو تيسرت لتلك الجموع في بلادهم حياة حرة وكريمة لما تركوا أوطانهم بسبب وعود خيالية أسرفت وبالغت الكنيسة في تقديمها وهذا الدليل على انعكاس الحالة الاجتماعية لهذه الشعوب الأوروبية.[2]

هكذا ظهرت الدعوة للحملة الصليبية، ووجدت الغالبية العظمى فرصتها للخلاص من حياتها الشاقة المليئة بالذل والهوان، ونظروا الى أخطار المشاركة في هذا الغزو، نظرة هينة أمام ما كانوا يعيشون فيه فإن ماتوا في هذه الحرب كان لهم الخلاص، وإن نجوا كانت لهم حياة جديدة أفضل مما كانوا عليه.[3]

يبدو أن أولئك الفلاحين عاشوا مثقلين بعدد من الالتزامات فكان عليهم أن يقدموا خدمات معينة للسيد الاقطاعي مثل فلاحة أرضه الخاصة، فضلا عن تسخيرهم في أعمال شاقة مثل إنشاء طريق أو حفر خندق او إصلاح جسر، وكان على الفلاحين دفع مقررات معينة مثل ضريبة الرأس التي يتعين على كل قن دفعها سنويا رمزا لعبوديته، هذا عدا عن الضرائب الأخرى، وهكذا ظلت الغالبية العظمى من الناس في غرب أوروبا يحيون حياة شاقة مليئة بالذل والهوان، وكان ذلك في الوقت الذي أعلن فيه الدعوة للحروب الصليبية فوجدت تلك الألوف من البؤساء في الغرب الاوروبي فرصتها قد حانت للتخلص مما كانت تعيش فيه من الذل ونكد الدنيا، فالموت كان أحبُ إليه من حياة الجوع والذل والعبودية.[4]

كانت هذه هي البواعث التي من أجلها تحركت أوروبا لغزو العالم الاسلامي من السيطرة على أرضه ومقدراته وشعوبه، ترى عن أي شيء أسفرت هذه الجهود والإعدادات؟

---

[1]– أحمد بن جيزة، المرجع السابق، ص75.

[2]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص40.

[3]– خاشع المعاضيدي، المرجع السابق، ص24.

[4]– أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص22.

4-الأسباب السياسية:

إذا كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تسبب في الحرمان والذل والهوان، دفعت الغالبية الساحقة من الصليبيين الى الترحيب بالدعوة الجديدة والمشاركة في الحملة الصليبية بحثا عن حياة أفضل، فإن فمشاركة ملوك أوروبا وأمرائها وفرسانها لها ما يبررها في الانضمام لهذه الحرب.[1]

لقد كان هذا السبب، دافعا رئيسيا عند البابا أوربان الثاني، وكذلك عند ملوك أوروبا، الذين لم يكن طموحهم يقف عند شيء، وكانت قوة كل ملك فيهم ترتبط بالمساحة التي يسيطر عليها، وهذا دفعهم بعد ذلك للمشاركة بقوة في الحملات الصليبية عندما شاهدوا النجاحات التي حققتها الحملة الأولى.[2]

أثبت التاريخ أن ملوك غرب أوروبا مثل "فريديريك بربروسا" و"ريتشارد" قلب الأسد و"فيليب أوغسطس" و"فريديريك الثاني" خرجوا لمحاربة المسلمين بضغط البابوية وإلحاحها وتهديدها، لكن الحكم بعيد عن الصحة في حالة واحدة وهي حالة "لويس التاسع"[3] ، أما الأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية، فمعظمهم كان يسعى وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها قبل وصولهم الى الشام وبعد استقرارهم فيها.[4]

أدت طبيعة النظام الاقطاعي في الغرب الاوروبي الى وجود عدد كبير من الفرسان والأمراء بدون أرض بسبب توريث الإقطاع وهي أن الابن الأكبر وحده كان له حق الاستئثار بوراثة الاقطاع[5]، الأمر الذي حمل هؤلاء الأمراء والفرسان المحرومين على الاشتراك في الغزو

[1]- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص40.

[2]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص24.

[3]- سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص40.

[4]- المرجع نفسه، ص41.

[5]-عاشور سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى (النظم والحضارة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ج2، ص50.

الصليبي الذي فتح لهم بابا لإيجاد الأرض، فاستجابوا بسهولة لنداء البابا وأسرعوا للمساهمة في تلك الحركة، لعلهم ينجحون في تأسيس امارات لهم في الشرق، كما أن عددا آخر من الأمراء الذين يمتلكون الاقطاعات والأراضي في أوروبا، وجدوا الفرصة مواتية للمشاركة في هذا الغزو للحصول على شيء أهم وأكبر.[1]

أصبحت نسبة كبيرة من أمراء غرب أوروبا وفرسانها فكروا في المشاركة في الحركة الصليبية طمعا في تحقيق جاه دنيوي أو نفوذ سياسي، لأن مكانة كل أمير أو فارس تتجدد لما يتحكم فيه من أرض، طمعا في تأسيس امارات لأنفسهم في الشرق والاستيلاء على أرض تعوضهم على سوء موقفهم في الغرب.[2]

كما أن ملوك أوروبا كانوا يرون أن الدولة البيزنطية دخلت طورا واضحا من أطوار الضعف ولو سقطت فإن هذا يعني فتح الباب الشرقي لأوروبا لقوات المسلمين العسكرية، إن كونوا من السلاجقة أو غيرهم وهذا ما يضعهم بين كفي كماشة، أي المسلمين القادمين من الشرق والمسلمين في أرض الأندلس فبالرغم من تباطؤ الملوك في بداية الحملات الا أنهم تسارعوا بعد ذلك المشاركة بل ذهب بعضهم بنفسه الى أرض فلسطين ومصر على قياده جيوشه.[3]

ومما يؤكد أهمية الجانب السياسي في الغزو الصليبي عند ملوك وأمراء أوروبا، الذين أسهموا في هذه الحركة خلافات كثيرة التي نشأت بينهم فيما بعد، وميلهم الى أقسام الغنائم قبل وصولهم الى بلاد الشام، وقبل تحقيق أي نصر لهم فعلا، كما نشأ الخلاف فيما بينهم بشكل مسلح، منذ أن تمكنوا من الاستيلاء على بلاد الشام، وخاصة حول حكم هذه الامارة او تلك، والفوز بهذه المدينة، ولم يكن يهمهم رضا البابا أو سخطه، بل أن بعض هؤلاء الأمراء

[1]– خاشع المعاضيدي، المرجع السابق، ص24.

[2]– سعيد عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص11-14.

[3]– راغب السرجاني، المرجع السابق، ص64.

الصليبيين تحالفوا مع بعض القوى الإسلامية المجاورة لهم في بلاد الشام، ضد اخوانهم الصليبيين الأمر الذي يؤكد ضعف الدافع الديني عندهم، أمام مصالحهم السياسية في هذه البلاد.[1]

أ-خطاب البابا أوربان الثاني:

ترأس البابا أوربان الثاني مجلس كبيرا سنة 1095م في منطقة الغال وبالضبط في مقاطعة أوفيرني Auvergne، في مدينة تسمى كليرمونت[2] ، بصحبة عدد من الأساقفة، شهد منافسة كبيرة بين الفرنسيين والألمان، سواء كانوا من الأساقفة أو الأمراء، فبعد تسوية الشؤون الكنسية، خرج البابا إلى مكان واسع، لأنه لا يمكن أن يحتوي أي مبنى على من جاء للاستماع إليه، وإن اختلفت روايات المؤرخين حول ما ورد بالخطبة، فإنها اتفقت على أنه خطب فيهم بلغة حماسية وكلمات معبرة وهادفة ومؤثرة باسم المسيح معلنا إطلاق حملة مقدّسة لنجدة نصارى الشرق وتحرير الكنائس المسيحية، وتطهير الأرض المقدسة في فلسطين من قبضة المسلمين، ومما جاء في الخطبة نذكر على سبيل المثال قوله: "ومن ثَمَّ فإنني لست أنا، ولكن الرب هو الذي يحثكم باعتباركم وزراء المسيح أن تحضوا الناس من شتى الطبقات". واستخدم فيها نصًّا من إنجيل لوقا جاء فيه: "ومن لا يحمل صليبه، ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا"[3].

كما ربط الموت في هذه الحملة بالغفران في قوله: " ومن يمت في المعركة يفز بالغفران ومحو الذنوب، وما الحياة على الأرض إلا حياة البؤس والشر، يرهق الناس أنفسهم فيحصدوا دمار

---

[1]- خاشع المعاضيدي، المرجع السابق، ص25.

[2]- كليرمونت: تقع في جنوب فرنسا، على بُعد 330 كيلو مترًا تقريبًا من باريس، أنظر، محسن محمد صالح، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، مركز الزيتونة، للدراسات والاستشارات، بيروت، 2010م، ص20.

[3]- أبو فارس محمد عبد القادر، تأملات ودروس في الحروب الصليبية، جهينة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2002، ص17. راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 55-56

أبدانهم وأرواحهم، هنا الناس فقراء تعساء، وهناك متمتعون مزدهرون، وأصدقاء الرب بحق، ولا ينبغي أن يكون هناك تأخير، فليكونوا على أهبة الاستعداد عندما يحل الصيف وسيكون الرب مرشدهم".[1] كانت هذه الخطبة بداية لانطلاق الحروب الصليبية.

ب- الحملة الصليبية الشعبية:

يراد بها جس النبض للنصارى، سبقت الحملة العسكرية الأولى وتعتبر جزءا منها، دامت حوالي ستة أشهر (من شهر أفريل إلى غاية أكتوبر سنة 1096م). وهي حملة عسكرية واسعة النطاق التي أطلقتها الكنيسة الكاثوليكية في القرن الحادي عشر، والتي كانت تهدف إلى استعادة القدس والأماكن المقدسة في الشرق الأوسط من يد المسلمين، وعرفت باسم حملة الشعب أو حملة الأقنان.[2]

بدأت الحملة في أبريل من عام 1096م واستمرت حوالي ستة أشهر حتى أكتوبر من نفس العام، وقد شارك فيها عدد من الأساقفة الذين شاركوا في مجمع كليرمونت سنة 1095م الداعي إلى قيام حرب صليبية ضد المشرق، وبسبب دعوات الأساقفة ودعمهم للحملة، قامت جماهير نصرانية كبيرة بالتوجه إلى الشرق للمشاركة فيها، وكان هدفهم استعادة كنيسة القيامة وقبر المسيح المزعوم، ورغم محاولات البابا لإثنائهم عن الرحيل، إلا أنهم لم يستجيبوا له، وانطلقوا في رحلتهم محملين بالمؤن وبصحبة زوجاتهم وأطفالهم، وعند وصولهم إلى "كولونيا" في أبريل من عام 1096م، بدأوا بالتجمع هناك وتزايد عددهم بانضمام الألمان إليهم، حتى ازدادت قوتهم واستعدادهم للتوجه شرقًا لتحقيق هدفهم الأكبر.[3]

---

[1]- أنظر: الملحقين رقم5 و6، ص124-126.

[2]- أنظر: الملحق رقم7 ، ص127.

[3]- أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص28.

جمع بطرس الناسك جيشه في كولونيا في 12 أبريل 1096م،[1] كانت خطته التوقف هناك ليعظ ويجمع المزيد من الصليبيين في ألمانيا، ولم يكن الفرنسيون مستعدين للانتظار وقررت قيادة والتر سانس أفور الذي كان مفلسًا،[2] مغادرة المدينة مع عدد قليل من الصليبيين قبل وصول بطرس، وصل هؤلاء الصليبيون إلى المجر في 8 مايو وعبروا المجر دون حوادث حتى وصلوا إلى نهر ساف على الحدود البيزنطية في بلغراد.[3]

تفاجأت بلغراد بالجموع ولم يكن لديها تعليمات بشأن كيفية التعامل معهم، فرفضت السماح لهم بدخول المدينة، اضطر الصليبيون بسبب ذلك إلى نهب الريف للبقاء على قيد الحياة، وحدثت اشتباكات مع الحامية البلغارية، وفي تصعيد للأمور قام ستة عشر من أتباع والتر بنهب سوق في سيملين في الجانب الآخر من النهر في هنغاريا، وتم تجريدهم من معداتهم وثيابهم وعلقت على جدران القلعة، وسُمح للصليبيين بمواصلة طريقهم إلى نيش، حيث تم تزويدهم بالطعام وانتظروا أخبارًا من القسطنطينية بشأن المرور، وفي نهاية يوليو وصلت الجيوش إلى القسطنطينية مرافقة بيزنطية.[4]

استمر بطرس وبقية الصليبيين في كولونيا حتى 20 أبريل، خرج معهم حوالي عشرون ألف صليبي، وتبعتهم مجموعة أخرى بعد وقت قصير، وعند وصولهم إلى نهر الدانوب باستخدام القوارب في حين قرر العديد الآخر استكمال الرحلة على ضفاف الدانوب ودخلوا المجر عند

[1]– بطرس الناسك: راهب ذو شخصية مؤثرة (كارزماتي) ومتحدث مفوه من أمينس، كان القائد الروحي لهذه الحركة، أنظر، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص28.

[2]– محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000م، ص26.

[3]– أحمد المغلوث، المرجع نفسه، ص30.

[4]– المرجع نفسه، ص30.

دينبورغ (المعروفة اليوم باسم سوبورون)، هناك استمروا في رحلتهم عبر المجر وعادوا للانضمام إلى الذين اختاروا الدانوب كمسار في سملين على الحدود البيزنطية في هنغاري.[1]

بدأ الصليبيون يشعرون بالتشكك عندما رأوا السبعة عشر المشنقة على أسوار القلعة، ومع ذلك، نشبت خلافات حول سعر زوج من الأحذية في السوق، وتحولت هذه الاضطرابات إلى هجوم كامل على المدينة من قبل الصليبيين (على الأرجح ضد رغبة بطرس)، وقتلوا 4,000 مجري، ثم هرب الصليبيون عبر نهر الساف إلى بلغاريا، ولكن ليس قبل أن يتعرضوا لاشتباكات مع القوات البلغارية، هرب سكان بلغراد وتم نهب المدينة وإحراقها، ومن ثم استمروا في المسير لمدة سبعة أيام حتى وصولهم إلى نيش في 3 يوليو، وعد الحاكم بتوفير مرافقة لجيش بطرس إلى القسطنطينية وتوفير الطعام، شريطة أن تغادر الجموع على الفور، وافق بطرس على الشروط، وانطلق في اليوم التالي لمواصلة الرحلة.[2]

عند وصول جموع المتطوعين الصليبيين إلى القسطنطينية، قرر الإمبراطور إلكسيس كومين مساعدتهم في السفر إلى آسيا الصغرى وتحقيق بعض الانتصارات المحلية على السلاجقة، ومن جراء هذه الانتصارات بدأ الصليبيون يغترون بقوتهم ويتجاوزون في الهجمات على أراضي السلاجقة، استغلوا الفرصة عندما ذهب بطرس الناسك إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور، وقرروا الهجوم على مدينة نيقية، وفي هذا الوقت تصدى المسلمون السلاجقة لهم في سنة 489 هـ / 1096م وهزموهم تمامًا باستثناء عدد قليل منهم لا يتجاوز ثلاثة آلاف شخص.[3]

[1]– أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص30.

[2]– المرجع نفسه، ص30.

[3]– هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، تر: عماد الدين غانم، اللاذقية، 2008م، ص75.

فشلت حملة العامة التي قادها بطرس الناسك ووالتر المفلس، وكما فشلت حملات أخرى مماثلة، كانت هذه الحملات تعتبر الطلائع للحملات الصليبية المنظمة التي قادها الملوك والأمراء الأوروبيون فيما بعد.

التقى بطرس الناسك بوالتر المفلس وعصابات شعبية أخرى التحقت بالتجمع تحت أسوار القسطنطينية، وكان هذا الاجتماع يشجع أفراده على القيام بأعمالهم المعتادة، حيث تراخوا في غرائزهم الضعيفة وبدأوا في نهب ضواحي المدينة الكبيرة والقرى المجاورة وحتى الكنائس، هذا السلوك دفع الإمبراطور البيزنطي لتشجيعهم على الانتقال إلى آسيا الصغرى.[1]

استطاع رئيس إحدى عصابات الصليبيين "رينالد اللومباردي" في آسيا الصغرى، أن يستولي على حصن كزاريغوردون في ضواحي نيقية، وبعد أن ضمن هذا الانتصار أرسل رينالد رسالة لباقي رفاقه في قلعة سيفتيوت للانضمام إليهم ولم ينتظر الأتراك طويلاً، بل حاصروا رينالد ورجاله قبل وصول الدعم الصليبي إليهم، تعرض المحاصرون لمشاكل كبيرة بسبب نقص الماء والمؤن، وتوفي عدد كبير منهم.

عاد بطرس الناسك إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور إلكسيس كومين، واستغل رجاله هذه الفرصة في غيابه وشن هجومًا على مدينة نيقية نفسها، [2] ثم غادروا سيفتيوت، تاركين النساء والأطفال فيها، وتوجهوا نحو عاصمة قُلج أرسلان، علم قائد الأتراك "إلخان" بهذا التحرك من خلال جواسيسه، ونصب لهم كمينًا في وادي دراكون، واستغل القائد التركي هذه الفرصة وهاجم قلعة سيفتيوت، ودخلها وقتل كل من كان فيها، عندما أبلغ أحد الناجين بطرس

[1]– أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص40.

[2]– محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص27.

الناسك بالهجوم، سارع بإبلاغ الإمبراطور، لكن السلاجقة قد انسحبوا من القلعة وعادوا إلى نيقية، مع أسرى الصليبيين في 24 تشرين الأول سنة 1096م.[1]

[1]– محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982م، ص47–48.

المبحث الثالث: أحداث ووقائع الحملة الصليبية الأولى.

1-حملة الأمراء وتداعياتها:

بعد الفشل الذي مُنيت به الحملة الشعبية الصليبية، جاء دور الحملات العسكرية المنظمة التي يقوم عليها الفرسان والأمراء، والمزودة بالمؤن والسلاح والعتاد، وكان البابا أوربان الثاني قد حدد يوم 21 شعبان 489 هـ/06 أغسطس 1096م موعدًا لانطلاق الحملة، واختار القسطنطينية مكانًا لتجمع الجيوش الصليبية ، حيث تألفت الحملة من أربع مجموعات[1].

أ- المجموعة الأولى:

كان "جود فري[2] " وأخوه "بلدوين"[3] على رأس المجموعة العسكرية الأولى للحملة الصليبية حيث سار أفراد هذه المجموعة عبر المجر والبلقان إلى أن وصلوا إلى أسوار العاصمة البيزنطية المحصنة في 23 ديسمبر 1096م، اتبعوا مسار شارل العظيم ، الذي قيل إنه امبراطور روماني مقدس، وتم استخدام هذا المسار لمحاربة العصاة والمتمردين ، هذه الرواية ليست سوى أسطورة انتشرت لتحفيز الصليبيين واثارة حماسهم في حروبهم المقدسة[4].

---

[1] ـ حسن حلاق: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى: الأندلس، صقلية، الشام، الدار الجامعية، ط1 ، بيروت1986، ص 174، محمد الحافظ: تاريخ بيت المقدس، من الفتح العمري حتى نهاية العهد الأيوبي، دار الرازي ، ط1 ، الأردن ، 2003، ص 62-63 ، ناصر محمد حامد ، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، عهد نور الدين وصلاح الدين ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، 1998، ص 61 ، أنظر الملحق رقم10 ، ص130.

[2]- بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، تقديم جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط1، د.ب ، 1998م، ص68.

[3]-بلدوين: الأخ الأصغر لجود فري وربما كان أكثر ثقافة من أخيه وقد أسس كونتية الرها الصليبية، أول إمارة صليبية في الشرق، وأصبح فيما بعد ملكا لمملكة بيت المقدس، أنظر: بطرس توديبود، المصدر نفسه، ص 68.

[4]- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، د.ب ، 1999م، ص 72.

ب- **المجموعة الثانية:** ضمت الفرسان النورمانيين من المملكة النورمانية التي نشأت في جنوب إيطاليا وأميرها "بوهيموند بن روبرت جويسكارد[1] " ومعه ابن أخته " تنكريد[2] " الذي كان سند له ضمن هذه المجموعة [3].

ت- المجموعة الثالثة: قادها "ريموند دي صنجيل" من جنوب فرنسا في رحلة امتدت من شمال إيطاليا إلى ألمانيا وكرواتيا وبلغاريا، وصولاً إلى القسطنطينية[4].

ث- المجموعة الرابعة:

كانت بقيادة "روبرت كورت هوز" و "روبرت الثاني كونت فلاندر"، حيث تمت حملة من شمال فرنسا حيث سلكت طريقًا شماليًا عبر إيطاليا، ثم اتجهت إلى ساحلها الشرقي وقامت بالإبحار من برنديسي إلى ألبانيا، ثم مقدونيا، وصولًا إلى القسطنطينية[5] .

تلقت الجيوش الأربعة دعما روحيا وماديا بالمؤن والمدد العسكري ومختلف المساعدات من قبل الامبراطور البيزنطي لطرد السلاجقة من المنطقة ، وأجبر ثلاثة من قادة الجيوش على حلف

---

[1]- بوهيموند: ابن روبرت جويسكارد النورماندي شارك معه بالحملة الفرنجية الأولى ابن اخته تانكريد، وكان يتبعه في القيادة وأستطاع أن يجهز جيشا كبيرا ولم يخف أطماعه في رغبة السيطرة على أراضي في الإمبراطورية البيزنطية، وأصبح أميرا لأنطاكية بعد سقوطها (491 هـ/ 109م). أنظر: منى حماد، الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي (490 هـ – 586هـ/ 1097 م – 1191 م)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ص 57.

[2]- تنكريد: شارك مع خاله بوهيمند النورماندي في قيادة حملته إلى الشرق، ووصل مع بوهيمند إلى القسطنطينية بعد خمسة أشهر من تاريخ انطلاق الحملة الصليبية الأولى، توفي بعد انتهاء الحملة الصليبية الأولى (506 هـ/ 1112 م). أنظر: منى حمّاد، المرجع السابق، ص 57.

[3]- عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، تر: فيليب صابر سيف، دار الجيل، ط2، القاهرة، د.ت ، ص47.

[4]- المرجع نفسه، ص47.

[5]- حسن حلاق : المرجع السابق، ص 174، ناصر محمد حامد : المرجع السابق، ص 61

اليمين بأن يعطوه جميع الأراضي التي يستعيدونها من السلاجقة لأنها كانت جزء من أراضيه في السابق ، بعد ذلك سارت الجيوش جنوبا وفرضت حصارا على مدينة نيقية[1].

2- النتائج الأولية للحملة الصليبية:

تزامنت الحملة الصليبية مع الانقسامات السياسية والمذهبية التي شهدها المشرق الاسلامي، حيث كانت مصر الفاطمية تعاني مصيبة الدول التي تضغضغ سلطانها وأشرفت على الانحلال والاضمحلال، وبلاد الشام كانت تعيش وضعا مفككا، وبلغ الخلاف المذهبي والعسكري بين الفاطميين والسلاجقة أوجّه ، مما جعل الصليبين يستهدفون العالم الإسلامي، وفي هذا المقام بالأخص استهدفت آسيا الصغرى وبلاد الأناضول[2].

أ- سقوط نيقية:

انطلقت الجموع الصليبية متجهة إلى مدينة نيقية[3] في أواخر أبريل عام 1097م، وكانت مصحوبة بفرقة صغيرة من الجيش البيزنطي، توصل الصليبيون والجيش البيزنطي إلى اتفاق لحصار نيقية، وكانت هذه المدينة هي عاصمة سلاجقة الروم، وقدّم الإمبراطور البيزنطي دعمًا للجموع الصليبية من خلال تزويدهم بآلات الحصار.[4]

وصلت القوات الصليبية إلى نيقية يوم 6 ماي 1096 م، وتم فرض حصار على المدينة (عاصمة سلاجقة الروم وأهم مدنهم) من الجهات الثلاثة، باستثناء الجهة الغربية التي كانت تطل على

---

[1]ـ أمين حسن : غارات على بلاد الشام ، دار قتيبة ، ط1 ، دمشق ، 2000، ص 141-142 ، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ، ج1 ، ص 131-132

[2]- أنظر: الملحق رقم8 ، ص128.

[3]- نيقية: تقع هذه المدينة على مسافة يسيرة من خليج نيقوميديا، وقد اشتهرت بمناعتها وحصانتها، نظرا لمتانة أسوارها والبحيرة الكائنة في جنوبها، وهي مدينة قديمة يرجع إنشاؤها إلى عام 316 ق.م، وتسمى الآن إزنيق، وقد حكم السلاجقة بقيادة قلج أرسلان المنطقة زمن الحملة الصليبية الأولى، أنظر، بطرس توديبود، المصدر السابق، ص71.

[4]-سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص162.

بحيرة تمتد لمسافة 12 ميلا، لم تكن لدى الجموع الصليبية القوة البحرية اللازمة لإغلاق هذا الممر، وكان الدوق "جود فري" و"كونت فلاندر" أول من بدأ بتنفيذ الحصار حول نيقية، وتلاهما "بوهيموند" وجيشه الذي أقام معسكرًا في الجهة الشمالية للمدينة. فاستنجد أهلها بالسلطان السلجوقي قلج أرسلان[1].

كان السلطان السلجوقي قلج أرسلان يشارك في معركة ملطية، وعندما وصل رسول إلى معسكر السلطان في الأيام الأولى من شهر مايو، نقل له خبر وصول الجيوش الصليبية إلى أبواب نيقية وبدء حصارها، فلما علم قلج أرسلان بأن مدينته تتعرض لمحاصرة مروعة، قرر إرسال اثنين من أتباعه لتهدئة قلوب سكان المدينة، وقام الرسولين بعبور البحيرة في قارب بهدف الوصول إلى نيقية ، ولكنه تم القبض عليهما من قبل الصليبيين، فقتل الرسول الأول خلال الهجوم، وتم أسر الثاني.[2]

أدرك قلج أرسلان جدية الأمر، فأرسل قوة عسكرية للدفاع عن نيقية وإنقاذها، لكن القوة التي أُرسلت وصلت إلى نيقية بعد فوات الأوان، اذ تمكن الصليبيون من استكشاف نيقية في 6 مايو عام 1097 م، وحاصروها وبدأوا في شن الهجمات عليها.[3]

حضر السلطان قلج أرسلان نفسه إلى نيقية وشن هجومًا على الجيش الصليبي فور وصوله في تاريخ حوالي 21 مايو، وبعد معركة قصيرة أدرك أنه غير قادر على مواجهة جيش الصليبي وتم هزيمته، وقعت هذه المعركة في رجب عام 490 هـ، ولم تلبث نيقية أن سقطت في يد الصليبيين بفضل مساعدة ألكسيوس الأول، حيث قدم سفنه لتزويد جيش الصليبيين بالطعام والإمدادات.[4]

---

[1]- أمين حسن : المرجع السابق، ص 141-142 ، سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ، ج1 ، ص 131-132

[2]- ويليام الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ج1، ص162.

[3]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص162.

[4]- المرجع نفسه، ص162.

استغرقت مدة حصار حوالي خمسين يومًا، وانتهى بانتصار الصليبيين واحتلالهم لمدينة نيقية، وما لبثت القوات البيزنطية أن تفاوضت سرًا مع القوات الإسلامية المحاصرة، واستسلمت لها بدون علم القوات الصليبية، ولذلك فقد تفاجأ الصليبيون عندما رأوا الأعلام البيزنطية ترفرف فوق أسوار نيقية في جمادى الثانية من عام 491 هـ (26 يونيو 1097 م)، وبناءً على الاتفاق المتفق عليه، تم ترك مدينة نيقية والمناطق المحيطة بها للبيزنطيين، وتقدمت الجيوش الصليبية نحو الشرق بعد ذلك.[1]

ب- تأسيس إمارة الرها:

استطاع " بلدوين أن يستولي على كثير من المدن والقلاع في شمال الجزيرة، وذلك بفضل مساعدة العنصر الأرميني، الذي كان يسيطر على أغلب المناطق، وقد أشار محمد مؤنس عوض إلى امتلاك الصليبين الرها[2] حيث قال:" إنهم ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لأنّ أكثرهم أرمن، وليس بها من المسلمين إلا القليل "، ولهذا رحب الأرمن ببلدوين وقدموا له كل المساعدة[3]، حيث لم تصادف هذا الأخير أي صعوبات في الاستلاء على تل باشر[4] بفضل مساعدة الأرمن وثورتهم ضد الحاميات التركية من ناحية، وضعف هذه الحاميات من جهة أخرى".[5]

تلقى" بلدوين "دعوة من الأمير "ثوروس" الأرميني حاكم الرها في فيفري 1098 م لمساعدته في صد الزحف العسكري بقيادة كربوغا حاكم الموصل القادم لنجدة أنطاكية، وفي هذه الفترة

[1]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص50. أنظر: الملحق رقم9 ، ص129.

[2]- الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرها بن البلندى بن مالك ابن دعر. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص106.

[3] - محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص78.

[4]- تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان، وأهلها نصارى أرمن، ولها ربض وأسواق، وهي عامرة آهلة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، مج2، ص40.

[5]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ص180.

انفصل عن مجموعته عند عين تاب[1]، واتجه نحو الشرق لمساعدة الأمير" ثوروس "وتحرك بجيشه المؤلف من ثمانين فارس لكي يعبروا نهر الفرات، حيث غادر تل باشر متجها نحو الرها ، وفي هذه الأثناء كان الأتراك قد أعدوا له كمينا في سمسياط[2] عند البيرة ، إلا أنه استطاع أن ينجوا منه، فوصل "بلدوين " وحضي باستقبال حار من طرف السكان، وتبناه أمير الرها وأشركه معه في الحكم، ولم تمضي مدة طويلة على اغتيال الأرمن ثوروس، حتى تزوج بلدوين امرأته وتسلم الحكم.، ليُؤسّس بذلك أوَّل إمارةٍ صليبيَّةٍ في العالم الإسلامي، وهي إمارة الرها، وذلك في8 مارس سنة 1098م / 491 هـ ، بينما تابع الجيش الصليبي مسيره جنوبا حتى وصل الى مدينة انطاكيا[3].

تكمن أهمية هذه الإمارة في أنها أول إمارة صليبية أنشأت في الشرق الأدنى الإسلامي أثناء وبعد الحملة الصليبية، كما أنها تعتبر من أوسع الإمارات الصليبية وأشدها أذى للمسلمين بسبب أطماع أصحابها النورمان واجتهادهم في الحروب والغارات.[4]

---

[1]– عين تاب: قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية، وكانت تعرف بدلوك، وهي الآن من أعمال حلب.

أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص176.

[2]–سمسياط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غرب الفرات، لها قلعة في شق منها سكنها الأرمن. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص258.

[3]– علية عبد السميع الجنزوري، امارة الرها الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، القاهرة، 2001 ص 64–69 ، حارثي، عبد الله بن ناصر بن سليمان ، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة، الثاني عشر والثالث عشر للميلاد– الدار العربية للموسوعات– ط1 ، بيروت، 2007، ص84–85.

[4]– محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة، المرجع السابق، ص197.

المبحث الرابع: نتائج الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام.

1 – سقوط أنطاكية:

أ– حصار أنطاكية:

واصل الجيش الصليبي زحفه نحو الشام بهدف استرجاع أنطاكية[1]، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية سابقا، حيث كان آخر حاكم لها من البيزنطيين هو فيلاريتوس الأرميني، تم انتزاعها منه من قبل سليمان بن قتل مشفي زعيم سلاجقة الروم [2]، وبعدها خاض ملكشاه معركة ضد سليمان، ونجح في هزيمته وقتله، وأصبحت أنطاكية جزءًا من أملاك تتش، فاختار ملكشاه أن يستولي على المدينة ويمنحها لأحد رجاله التركمان ليكون ياغي سيان آخر من حكم أنطاكية قبيل وصول الجيش الصليبي إليها[3].

وصل الجيش الصليبي إلى مشارف الشام وأثار رعبًا كبيرًا في قلوب السكان بسبب عددهم الهائل، وهذا ما أشار له ابن القلانسي حيث جاء في قوله: "انتشرت الأخبار عن ظهور جحافل الفرنجة من بحر القسطنطينية في عدد لا يمكن حصره، وتوالت الأنباء القلقة والاستياء من اشتهارهم".[4]

تقدمت طلائع الجيش الصليبي إلى أنطاكية ، و فرضوا عليها حصار حيث تمركز الأمير روبرت من فلاندرز والأمير روبرت من نورماندیا والأمير هيو من فرماندوا والأمير ستيفن إتيان من بلوا

---

[1]– انطاكية: مدينة عظيمة تقع على طرف البحر بالشام.

أنظر : القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، د.ط، بيروت، (د.ت)، ص150.

[2]– رمضان عبد العظيم، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، د.ط، القاهرة، (د.ت)، ص 350. أنظر: الملحق رقم11، ص131.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص142.

[4]– أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بابن القلانسي، تاريخ دمشق، تح سهيل زكار، دار حسّان، ط1، دمشق، 1983م، ص218.

بين باب بولس وباب الكلب، بالإضافة إلى ذلك استقر بوهيموند ورجاله النورمان في الجهة الشمالية للمدينة بالقرب من باب بولس في نفس الوقت، انتشر ريموند كونت تولوز، والمندوب البابوي أدهيمار وفرسان البروقانس بالقرب من باب الكلب في الجهة الغربية من المدينة،[1] بينما وضع جود فري دي بويون جيوشه في الجهة الشمالية الغربية للمدينة بمواجهة باب الدوق، وبهذه الطريقة تم حصار المدينة تقريبًا باستثناء الجهة الشرقية والغربية حيث كانت محمية بجبل شامخ[2].

والواضح أن ما حدث من خلافات بين ياغي سيان ورضوان سهل كثيرا من مهمة الصليبيين ، وذلك لأن ياغي سيان في سنة 1096 م، حوَّل تبعيته من رضوان الحلبي إلى دقاق الدمشقي وذلك أثناء حرب دارت بين الطرفين، بالإضافة إلى النزاعات بين الأخويين رضوان ودقاق.[3]

كان ياغي سيان لا يزال في طريقه عائداً إلى أنطاكية قادماً من شيرز، عندما علم بوصول عدد كبير من الصليبيين إلى شمال بلاد الشام، وعلم أيضاً بأنهم هبطوا في بغراس[4] وهاجموا القرى المحيطة بأنطاكية، في هذا الوقت قام ياغي سيان بإرسال ولديه شمس الدولة ومحمد إقسارا لطلب المساعدة من جيرانه، توجه أحد الاثنين إلى دقاق وطغتكين لطلب المساعدة منهما، وأرسل رسائله إلى جناح الدولة ووثاب بن محمود وبني كلاب. بدوره، توجه محمد إلى التركمان وكربوغا وأمراء الشرق وملوكهم، وإلى سائر البلاد والأطراف لطلب المساعدة والنجدة والدعوة للجهاد وتعزيز أمن أنطاكية، وطرد المسيحيين منها ورفض رضوان الحلبي تقديم المساعدة له[5].

---

[1]– محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص197.

[2]– ابن الاثير، الكامل، ج10، ص274–276

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص142.

أنظر : الملحق رقم12، ص132.

[4]– بغراس: مدينة في لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربع فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، وفي البلاد المطلة على نواحي طرسوس. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص467.

[5]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، د.ط ، بيروت،1908م. ص134.

بعد ثمانية أشهر من الحصار، تمكنت مدينة أنطاكية من الصمود والمقاومة حيث تعرض الصليبيون لظروف صعبة خلال هذه الفترة، من أمطار الشتاء الغزيرة والبرد القارص والجوع، وجد بعض الصليبيين طريقة جديدة للحصول على الطعام عن طريق استخدام أعواد تسمى زكرا[1]، بالإضافة إلى ذلك لم تكن المواد الغذائية تصل بانتظام عبر البحر، وكانت الطريق البري المؤدي إلى أنطاكية والذي يبلغ طوله حوالي عشرين ميلا غير آمن[2]، وهذا دفع بوهيموند وروبرت الفلاندر إلى الخروج من المدينة وشن غارات على المدن المجاورة للحصول على التموينات، في هذا الوقت حاول ياغي سيان شن هجومًا مفاجئًا على الصليبيين، واستغل انشغالهم بغاراتهم على المناطق المجاورة لنهبها والحصول على مؤنها ومع ذلك فشل في تحقيق هدفه لصعوبة الموقف وكثرة عدد الصليبيين ومهارة ريموند في القيادة ، وعندئذ عاد ياغي سيان ورجاله داخل المدينة.[3]

تجمعت قوات إسلامية قرب مدينة شيرز لإنقاذ مدينة أنطاكية، كان القائد الرئيسي لهذه القوات هو دقاق السلجوقي ملك دمشق، بصحبة طغتكين أتابك وأمير حمص العربي بن ملاعب، عندما علم هؤلاء الأمراء المسلمين أن جزءًا من جيش الصليبيين بقيادة بوهيموند النورماندي وروبرت أمير فلاندر يتقدمان على امتداد نهر العاص، قرروا الخروج لملاقاتهم، اندلعت معركة بين الطرفين عند موقع البارة[4]، وكانت نتيجتها غير واضحة[5].

[1]– زكرا: كلمة مشتقة من لفظ السكر العربي. أنظر: محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 30.

[2]– محمود سعيد عمران ، المرجع نفسه، ص 30.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق، المرجع السابق، ص146.

[4]– البارة: بليدة أو كورة في نواحي حلب، وبها حصن ذات وهي ذات بساتين. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص320.

[5]– محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص200.

نشأت الفوضى بين الجند، وظهرت الاعتراضات هنا وهناك، وظهرت أيضا دعوات بفك الحصار، وأشد من ذلك بدأت تظهر حالات هروب في المنطقة بكاملها، وكانت المفاجأة أنه كان على رأس الفارين بطرس الناسك الذي كان يجمع الجيوش في فرنسا قبل ذلك.[1]

كان بوهيموند النورماني يتابع عن كثب هذه الأوضاع ويسعى للاستفادة منها لصالحه الشخصي وطموحاته الكبيرة في السيطرة على أنطاكية، كان يدرك أن الأمراء الصليبيين سيتنافسون معه على المدينة[2]، وأن الإمبراطور البيزنطي لن يسمح له بالاستيلاء على أنطاكية، حيث كانت تُعتبر مصلحة بيزنطة الرئيسية في المنطقة. لذلك، قرر أن يستغل أصعب وأكثر فترات الحصار صعوبة في يناير/جانفي من عام 1098م. أعلن نيته المغادرة إذا لم يتم تسليمه حكم أنطاكية، ووافق الزعماء الصليبيون على ذلك بسبب هروب العديد من أفراد الجيش.[3]

في هذا الوقت الحرج، عندما كان العالم الإسلامي مهددًا بغزوة صليبية، اقترح الحاكم الفعلي في مصر،[4] الذي كان يحكم البلاد منذ عهد الخلفاء الفاطميين، أن يستغل هذه الفرصة لإقامة تحالف بينه وبين الصليبيين وفي إطار هذا التحالف، ستكون أنطاكية تحت سيطرة الصليبيين، بينما ستبقى القدس تحت سيطرة الفاطميين، وبناءً على هذا الاقتراح، تم إرسال سفارة إلى الصليبيين أثناء حصارهم لأنطاكية، ومن المحتمل أن هذه السفارة قدمت عرضًا يتضمن التعاون بين الجانبين للقضاء على السلاجقة، مع تقسيم الغنائم بعد ذلك أكد الحاكم الفاطمي للصليبيين في رسالته أنه سيوفر لهم المساعدة العسكرية والإمدادات الغذائية، واستقبل السفراء الغربيين المرسلين من قبله استقبالا وديا وعقدوا معهم عدة اجتماعات وتسلموا منهم رسالة الأفضل، ومكث الوفد الفاطمي في

[1]– راغب السرجاني، المرجع السابق، ص114.

[2]– المرجع نفسه، ص114.

[3]– قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص124.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات ، ص150.

المعسكر الصليبي عدة أسابيع عادوا بعدها إلى بلادهم بصحتهم سفارة صليبية تحمل الهدايا الوفيرة مع الأفضل في الأمور التي اتفقوا عليها ، ويجدر الذكر أن قبل عودة السفارة الفاطمية إلى مصر، أرسل الصليبيون هدية إليهم عبارة عن أربعة جياد تحمل رؤوس قتلى السلاجقة السنة كانت هذه الهدية موجهة لخليفة مصر، وقد عبّر أفراد السفارة عن سعادتهم الكبيرة بتلك اللقطة.[1]

تم محاولة استمالة رضوان ملك حلب، ويبدو أن هذه الخطة الصليبية نجحت إلى حد كبير، فقد هدأ دقاق في دمشق وظل هناك لفترة بعد هزيمته في البارة، ولم يحاول التدخل لدفع خطر الصليبيين عن أنطاكية، أما أخوه رضوان ملك حلب، فقد حاول إنقاذ أنطاكية على الرغم من العلاقة السيئة بينه وبين ياغي سيان، وكان له صاحب في حملته يدعى سكمان بن أرتق من ديار بكر، بالإضافة إلى قوات أخرى من حمص، اجتمعت هذه القوات الإسلامية جميعها في حارم، ومع ذلك فشلت هذه الحملة واستولى الصليبيون على حارم وانهزم المسلمون في معركة العمق.[2]

في هذا الوقت، تم إرسال العديد من الحكام السلجوقيين بقواتهم إلى كربوغا، وكان بينهم أمراء القسمين الأوسط والشمالي من بلاد ما بين النهرين، ودقاق صاحب دمشق، وأمراء المقاطعات الفارسية، بدأ هذا الجيش الذي كان يتألف من آلاف المقاتلين، بالتحرك نحو الرها في البداية، فقد كانت أولوية كربوغا هي القضاء على المقر الأساسي للفرنجة التي كانت تنتشر بشكل واضح في المنطقة الشرقية، ومع ذلك استمر جيش أتابك الموصل في البقاء بجوار الرها لمدة ثلاثة أسابيع، وتوجه نحو أنطاكية وبذلك، تم إضاعة ثلاثة أسابيع أخيرة من شهر مايو في حصار الرها دون أن يتحقق هدفه.[3]

[1]– مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م، ص63.

[2]– سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، المرجع السابق، ص 152–153.

[3]– ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986م، ص91.

ب- سقوط أنطاكية:

استطاع بوهيموند تعزيز علاقته مع أحد القادة في مدينة أنطاكية، واسمه فيروز، قام الأخير بالاتصال بالأرمن، ومن خلالهم توصلوا إلى اتفاق مع بوهيموند، فاستغل هذه الفرصة وعرض على فيروز دخوله إلى أنطاكية بدوره، قدمت النورماندي عرضًا لفيروز بالانضمام إلى المسيحية، مع إغراءه بالشرف العظيم والثروة الوفيرة من الأملاك، وافق فيروز على هذه الشروط والعهود.[1]

بعد التوافق على هذا الاتفاق، تقدم الجيش الصليبي نحو البرج الذي كان فيروز يحتفظ به ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى دخل الصليبيون إلى أنطاكية، بعد أن فُتحت لهم أبوابها ترحب سكان المدينة، بما فيهم السريان والأرمن بالصليبيين ويقدمون المساعدة لهم في استكشاف أسرار المدينة.[2]

قتل الصليبيون أعدادا كبيرة من المسلمين وساعدهم في ذلك المسيحيون والأرمن المحليون، وقد حاول ياغي سيان نفسه الفرار مع حملة من فر من الأتراك، ولكنه سقط عن فرسه فقتله الأرمن وحملوا رأسه إلى الفرنج ، وكان الصليبيون قد قتلوا من وجدوه بأنطاكية من المسلمين وأسر من الرجال والنساء والأطفال ما لا يدركه حصر ونهبوا ما وجدوها بها، وهكذا إلى أنّ خير سقوط أنطاكية 1098م، وأثار موجة من الذعر في البلدان الإسلامية القريبة، فهرب من كان بها من المسلمين وهكذا تسلمها الأرمن[3].

[1]- عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، دار ابن كثير، (د.ب)، 2005م، ص84.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، المرجع السابق، ص157.

[3]- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص220.

2- سقوط بيت المقدس:

أ-حصار المدينة:

بعدما احتل الصليبيون معرة النعمان وحصن الأكراد، توجهوا نحو عرقة، قاد ريموند دوسان جيل جيشه في 13 كانون الثاني / يناير، وفي اليوم التالي انضم إليه روبرت أوف نورماندي وجيشه، حاول الجيشان هذان استعادة مدينة عرقة، ومن ثم استأنف الصليبيون مسيرتهم نحو بيت المقدس، بعد ذلك اتجهوا نحو إنطرطوس على الساحل الشامي ثم إلى طرابلس.[1]

غادر الصليبيون طرابلس في 16 مايو واستمروا في تقدمهم جنوبًا، حيث عبروا البترون وجبيل، ووصلوا إلى الحدود الفاطمية على نهر الكلب في 19 ماي، لم يكن هناك جنود فاطميين على الحدود الشمالية باستثناء بعض الحاميات الصغيرة في المدن الساحلية، استمروا الصليبيون في مسيرتهم نحو شمال بلاد الشام، تجنبًا للمرور بالمدن الداخلية الكبرى مثل حلب ودمشق، وخلال تقدمهم، سقطت المدن الساحلية التابعة للفاطميين تحت سيطرة الصليبيين بشكل تسلسلي، ولم تقاوم سوى عدد قليل منها، وتم اللجوء إلى المصالحة في بيروت من قبل سكانها.[2]

توجه الصليبيون بعدها نحو صيدا ووصلوا إليها في 20 ماي 1099م، واجهوا مقاومة شديدة من الحامية الموجودة في المدينة، ومع ذلك تمكنوا من التغلب عليها واستمروا في تقدمهم، قاموا بالهجوم على صور في 23 ماي 1099م، ووصلوا إلى ضواحي عكا في 24 ماي، لم يواجهوا مقاومة يذكر في هذه المنطقة، ثم وصلوا إلى حيفا فقيسارية حيث استقروا لمدة أربعة أيام من 26 إلى 30 ماي، بعد ذلك استأنفوا تقدمهم نحو الرملة ووصلوا إليها التي أخليت من قبل المسلمين خوفًا من الصليبيين.[3]

---

[1]- ياسين سويد، حروب القدس في التاريخ الاسلامي، دار الملتقي، ط1، بيروت، 1997م، ص54.

[2]- محمد حافظ النقر، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، دار البداية، ط1، (د.ب)، 2006م، ص22.

[3]- مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص114.

بعد أن سيطر الصليبيون على الرملة في أوائل يونيو/جوان سنة 1099م، فُتحت أمامهم الطرق المؤدية إلى بيت المقدس. في تلك الفترة، عُقد مجلس للحرب حيث ناقش الصليبيون العديد من المسائل الهامة، بما في ذلك فكرة مهاجمة الفاطميين في مصر، وقد تم اقتراح أن يبدأ الصليبيون بالهجوم على القاهرة بناءً على اعتقادهم بأن مفاتيح بيت المقدس موجودة في العاصمة المصرية. وبعد مناقشة هذه الأفكار، تم اتخاذ قرار بالزحف المباشر نحو بيت المقدس، وفي 6 يونيو/جوان 1099م غادر الصليبيون الرملة[1] وانتقلوا باتجاه بيت المقدس، وبهذا الاستيلاء على الرملة، فُتحت الطريق أمام الصليبيين بشكل كامل للوصول إلى بيت المقدس[2].

استعد افتخار الدولة بشكل كامل لمواجهة الصليبيين والدفاع عن المدينة المقدسة، إذ أمر بطمر بإفساد جميع ينابيع وعيون المدينة وتسميم الآبار والقنوات المائية المحيطة بها، وقام سكان المدينة بإخفاء الماشية والقطعان في الكهوف والمغارات[3].

وصل الجيش الصليبي إلى القدس في يوم الثلاثاء الموافق 15 رجب 492 هـ (يونيو/جوان 1099م)، وبلغ عدد الجنود الصليبيين حوالي أربعين ألفاً، بما في ذلك الرجال والنساء من مختلف الأعمار والصفات، تألفت هذه القوات من حوالي عشرين ألف جندي مشاة وألف وخمسمائة فارس، وفي هذا الوقت بدأ قادة الجيش الصليبي في حصار المدينة المقدسة، احتل روبرت النورماندي المنطقة الشمالية المجاورة لكنيسة سانت ستيفن، بينما استولى كونت فلاندر على المنطقة المجاورة له، أقام جود فري تنكريد معسكرهما في الغرب، واستوطن ريموند ند كونت سانجيل في جبل صهيون، وبهذا تمت محاصرة المدينة من جميع الاتجاهات،[4] بعد بدء الصليبيين في حصار بيت

[1]– القلقشندي، المصدر السابق، ج 4، ص99.

[2]– ناصر خسرو، ص66.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، المرجع السابق، ص192.

[4]– وليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص 94.

المقدس، بدأوا بشن هجمات على المدينة باستخدام آلات الحصار والهدم الكبيرة التي كانت بحوزتهم ومع ذلك واجهوا صعوبة في تطويق المدينة بالكامل بسبب نقص القوات المتاحة لديهم، لذلك ركزوا جهودهم وقواتهم أمام الأماكن التي تقربهم من الأسوار بهدف اختراقها خلال فترة الحصار، واجه المحاصرون الصليبيون العديد من المشكلات التي عوقت استيلائهم على المدينة. ومن بين هذه المشكلات[1] :

– مقاومة الحامية الفاطمية، إذ توافر لافتخار الدولة المؤن والماء والأسلحة التي تفوقت على أسلحة الصليبيين.

– تأمين الماء نتيجة متخذه افتخار الدولة من تدابير ناجحة وقوية الأثر وللحصول على الماء كان لابد للصليبيين أن يسيروا أميال أو أكثر مما يعرضهم لهجمات المسلمين، كما أخذت مؤنهم بالنفاذ.

علم الصليبيون في أوائل يوليو (جويلية)، أن جيشًا عظيمًا قد خرج من مصر لنجدة القدس وأدركوا أنهم لن يستطيعوا الصمود في حالة حصار طويل، لذلك قرروا شن هجوم فوري على المدينة والاستيلاء عليها قبل أن يواجهوا المشاكل التي واجهوها في حصار أنطاكية وبناءً على ذلك، قام الصليبيون بإقامة برجين خشبيين وآلات حربية متعددة، وبعد تحديد الصليبيين لأضعف جزء في دفاعات بيت المقدس، قام القادة بتحريك آلات الحرب والأبراج الخشبية نحو الجانب الشرقي من الحصار وزادوا من قوته، وبدأ الهجوم باستخدام الأبراج في المقابل، قام المسلمون برمي كتل

[1]– محمد سهيل طقوس، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص241.

أنظر: الملحق رقم13، ص133.

مشتعلة مغموسة في الزيت والشحم على الجنود والبرج أثناء وجودهم فيه، ومع ذلك تمكن الصليبيون من التسلل فوق الأسوار ودخول المدينة، وبالتالي استولوا الفرنجة على بيت المقدس.[1]

ب-سقوط بيت المقدس:

بعد فترة حصار دامت حوالي شهر ونصف، تمكن الصليبيون من الاستيلاء على القدس، وقد ارتُكبت في تلك الفترة جرائم ومذابح فظيعة ومرعبة، أدت إلى مقتل سكان المدينة المقدسة والمدافعين عنها،[2] وتم نهب ثروات كبيرة واستولاء على الذهب والفضة والخيول والبغال، بالإضافة إلى نهب المنازل المليئة بالثروات.[3]

يفتخر العديد من المؤرخين المسيحين بالأعمال الإجرامية الحاقدة التي ارتكبوها ضد أهل وسكان بيت المقدس مثلاً، صرح ريموند صنجيل بأنهم شهدوا أمورًا غريبة ومروعة حيث تم قطع رؤوس عدد كبير من المسلمين وقتل آخرين بالسهام، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بدوس جثث المسلمين المكدسة في الحرم الشريف بواسطة خيولهم، وكانت الدماء تصل حتى لجام الخيول وفي نفس الموضوع يقول أحد المؤرخين المجهولين : "... حيث تجمعوا واستسلموا لرجالنا الّذين أعملوا فيهم أفظع القتل طيلة اليوم بأكمله، حتى لقد فاض المعبد كله بدمائهم".[4]

بعد سقوط بيت المقدس والمجزرة التي ارتكبت ضد سكان المدينة والمدافعين عنها من المسلمين واليهود، عُقِدَ اجتماع للمسيحيين في تاريخ 22 يوليو / جويلية 1099م (492هـ) أمام المعبد-

[1]- الشارتري فوشيه، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، تر: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2001م، ص 135-136.

[2]- عبد الرّحمان بدوي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية، ط1، بيروت، 1995م، ج3، ص 227.

[3]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص119.

[4]- المصدر نفسه، ص 118-119.

كنيسة القيامة– توصل المشاركون في الاجتماع إلى اتفاق بأن يؤدي كل منهم صلواته الخاصة، واحتفلوا في جميع أنحاء المدينة بالاستيلاء على بيت المقدس في اليوم الثامن من تلك الأحداث.[1]

في نفس اليوم المشار إليه سابقًا، تم اختيار الدوق جود فروي كأمير للمدينة بهدف محاربة المسلمين والدفاع عن النصارى، وفي الأول من أغسطس/أوت عام 1099، تم استبدال البطرك الأرثوذكسي بطريقة كاثوليكية من قبل الصليبيين، وكان الشخص الذي تم تعيينه هو أرنولف ما لكورن، يُذكر أن هذا اليوم تزامن مع عيد القديس بطرس في التقويم الأصفاد.[2]

3- موقعة عسقلان:

بعد احتلال مدينة القدس واستيلاء الصليبيين عليها لمدة خمسة عشر يومًا، قدم سلطان مصر العظيم ووزيره الفذ بن أمير بجيوشهم الجريئة لاستعادة بيت المقدس، بناءً على إخبارية وردتهم بأن الصليبيين قد احتلوا المدينة وأذلوها.[3]

عند وصول رسول إلى تنكريد والكونت يوستاس، تم دعوتهما للتجهيز والانتقال لاستعادة مدينة نابلس، وصلوا إلى المدينة وتمكنوا من السيطرة عليها بعد استسلام سكانها، بعد رحيلهما، أرسل جود فروي رسالة إلى تنكريد وأخيه يطلب منهما الانتقال بسرعة إلى السهل البحري وتزويده بأية معلومات تخص تحركات المسلمين، نظرًا لقرب وصول الوزير الأفضل إلى عسقلان[4]، قاموا بالانتقال إلى قيسارية وثم استداروا جنوبًا باتجاه الرملة، وهناك وجدوا عددًا كبيرًا من المسلمين

[1]– مجهول : المصدر السابق، ص 120.

[2]– المصدر نفسه، ص 120.

[3]– ابن الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس حسن، دار الرسالة العلمية، ط1، دمشق،2019م، ج19، ص497.

[4]–عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضا، ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الإفرنج. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص122.

العرب الذين تم إرسالهم من قبل الأفضل بن أمير لاستطلاع المنطقة، فقاموا بالقبض عليهم واستخراج معلومات حول قوات الوزير ومواقع تمركزها.[1]

بعد التأكد من قوة جيش المسلمين، تمركز الدوق جود فروي وروبرت الفلاندر وتنكريد وأخوه يوستاس في الجبال الغربية للقدس التي تطل على عسقلان، أرسلوا رسالة إلى رفقائهم في القدس يطلبون منهم الانضمام إليهم. استجاب روبرت أوف فلاندر للطلب وانضم إليهم، بينما رفض روبرت النورماندي وريموند وقرروا الانتظار حتى تأكيد الأنباء قبل اتخاذ أي إجراء.[2]

قرر جود فروي وروبرت كونت فلاندر والأسقف مارتيرانو والبطريق أرنولف مغادرة المدينة، وعندما وصلوا إلى الرملة والتقوا بتنكريد ويوستاس، أمر جود فروي الأسقف مارتيرانو بالعودة إلى القدس لتجهيز الجيش والفرسان، ولإعلان خطورة الوضع.[3]

اقتنع كل من ريموند وروبرت النورماندي، تحرك هؤلاء الأمراء وساروا للمعركة يوم الأربعاء[4]، واتجهوا جميعا صوب الجبال عند الدوق تحت قيادته في منطقة عسقلان ، وبقي بطرس الناسك في بيت المقدس لأداء طقوسهم، وإقامة الصلوات وتوزيع الصدقات، على أمل أن يحققوا النصر وفقاً لمعتقداتهم.[5]

اجتمع البطرك والأساقفة والسادة في يوم الحادي عشر من أغسطس/أوت 1099م، عند نهر في منطقة قرب عسقلان، قاموا بإحاطة المنطقة واستولوا على كل ما كان متاحًا، بما في ذلك

[1]– رانسيمان ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم، تر: نورالدين خليل، الهيئة المصرية العامة، ط1، الإسكندرية، 1998م، ص447. أنظر: الملحق رقم14، ص134.

[2]– رانسيمان ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم، المصدر السابق، ج1، ص447.

[3]– المصدر نفسه، ج1، ص448.

[4]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص121.

[5]– المصدر نفسه، ص122.

المؤن التي جلبها المصريون لتغذية جنودهم،[1] وفي الصباح التالي تقدموا نحو وادي المجدل الأخضر، الذي كان يعسكر فيه جيش الوزير الأفضل، وبعد تنظيم الجيوش الصليبية وتمركزها وفقًا لقادتها، اتجه الدوق جود فروي إلى الجناح الأيسر، بينما اتجه الكونت صنجيل إلى الجناح الأيمن باتجاه البحر، وقام كلٌ من روبرت فلاندر وروبرت النورماندي وتنكريد بالتمركز في المنتصف.[2]

تم التجهيز للمعركة وتمكن الصليبيون من الانتصار بعد أن قدموا خداعًا وبغوا الوزير الأفضل، الذي لم يكن يدرك قربهم منه. هاجموه بشكل مفاجئ ونجحوا في التغلب على المصريين وجيوش الأفضل، مما أسفر عن قتل العديد من الرجال وأهالي المدينة، تمكن حرس روبرت من الاستيلاء على راية الوزير الأفضل وجمع العديد من أغراضه الشخصية.[3]

وفي الأخير وكختام لما جاء به هذا الشطر من الموضوع، يمكن القول أنّ هذه الحملة أسفرت عن احتلال القدس كما تمّ ذكره آنفا، بالإضافة إلى عدة مناطق حكمها الصليبيون، كإمارة الرّها ونيقية وأنطاكية.

[1]– ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات، المصدر السابق، ج1، ص448.

[2]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص122.

[3]– ستيفن رانسيمان، المصدر نفسه، ج1، ص448.

الفـــــصل الثاني:

الفاطميون والعدوان الصليبي على بلاد الشام

- ✓ **المبحث الأول:** التحالف الفاطمي الصليبي وأثره على حصار أنطاكية.
- ✓ **المبحث الثاني:** الاحتلال الصليبي على بيت المقدس وموقف الفاطميين منه.
- ✓ **المبحث الثالث:** موقف الفاطميين من الصليبيين عقب سقوط عسقلان وعلاقتهما بنور الدين محمود.

المبحث الأول: التحالف الفاطمي الصليبي وأثره على حصار أنطاكية

تبين بوضوح أن السلاجقة لم يبقوا مكتوفي الأيدي في مواجهة الصليبيين منذ البداية، حيث قاموا بمواجهتهم فور دخولهم الأراضي الإسلامية في آسيا الصغرى، لم يتوقف تحركهم عند احتلال المدن الإسلامية، بل قاموا بالتعاون مع إخوانهم في بلاد الشام والعمل على تحقيق الوحدة بينهم، هذه الأفعال تعكس جدية السلاجقة في مواجهة العدوان الصليبي.[1]

اكتشف الصليبيون الحل في الفاطميين فقاموا بالتحالف معهم لاجتياح منطقة آسيا الصغرى وشمال الشام، مستغلين في ذلك خلافاتهم مع خصومهم من أهل السنة، يتعلق الامر بالخلافة العباسية في بغداد أو الأتراك السلاجقة في الشام[2].

كان الخليفة المستعلي بالله الفاطمي ينظر بشكل مشبوه إلى أي توسع يحدث من قبل السلاجقة في المنطقة ، فأخذ يروج لفكرة أن أي خسارة تصيب الأتراك ستكون مكسبًا له وبالفعل، فلما علم بحصار أنطاكية من قبل الصليبيين سعد بذلك ، لأن أي ضعف أو خسارة تحدث للأتراك السلاجقة تعد مكسب له، إلاّ أنه كان يشعر بالقلق من أن طول فترة الحصار قد يؤدي إلى مقتل الصليبيين و تأثر على استقرار دولته وأمن رعاياه.[3]

يبدو أن الفاطميين كانوا يأملون كثيرًا في أن هجوم الصليبيين على القوات السلجوقية سيساهم في تهديد مركز السلاجقة وضعف قوتهم، وإذا تمكن الصليبيون من طرد السلاجقة

---

[1]– أمجد حافظ حسين طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر وبلاد الشام (1098م–1173م)، أطروحة مكملة للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012م، ص96.

[2]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص197.

[3]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص304.

وإضعافهم، سيتاح للفاطميين فرصة لاستعادة الأراضي التي تم أخذها منهم من قبل السلاجقة في فترة زمنية قريبة.[1]

استجاب الصليبيون على الفور لوصول سفارة الفاطميين إلى المحاصِرين في أنطاكية، وباعتبارهم قد تذكروا نصائح الكسيوس السابقة، فقاموا بتنظيم فرسانهم على الفور واهتموا بمظهرهم ليكونوا لائقين أمام السفراء الفاطميين، و رحبوا بالسفراء بكل حفاوة وأكرموهم غاية الكرم لعدة أسابيع ،[2] وعقدوا معهم العديد من الاجتماعات لتتاح لهم الفرصة لتوصيل رسالتهم.[3]

بذل الفاطميون جهودًا كبيرة لكسب ثقة القادة الصليبيين واستدراك تأييدهم في مواجهة السلاجقة الأعداء ، وعندما طلبوا المساعدة من الصليبيين أظهروا اهتمامًا كبيرا وجدية تامة في طلبهم ، وأشار أعضاء السفارة الفاطمية إلى الأعمال الحسنة التي يقوم بها النصارى في مصر[4].

توصل الفاطميون أثناء تلك السفارة إلى اتفاق مع جودفري ينص على تقديم المساعدة له بالجنود و الذخيرة لمحاربة السلاجقة الذين كانوا يسيطرون على أغلب بلاد الشام في ذلك الوقت، وبدوره قرر الصليبيون أن يستمروا في حصار أنطاكية لصالح الفاطميين حتى يتمكنوا من استعادتها من يد السلاجقة،[5] توصل الجانبان أيضًا إلى اتفاقية تقسيم بلاد الشام بحيث يكون الجزء الشمالي منها تحت سيطرة الصليبيين والجزء الجنوبي تحت سيطرة الفاطميين، ويجب

[1]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص96.

[2]– مصطفى الكناني، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى (أضواء جديدة على الحركة الصليبية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، الإسكندرية، 1981م، ص127.

[3]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص305.

[4]– المصدر نفسه، ج2، ص57.

[5]– المصدر نفسه، ج1، ص305.

التنويه أن هذا التقسيم كان موجودًا قبل أن يدخل السلاجقة الشام، حيث كان الجزء الشمالي تحت سيطرة الدولة البيزنطية، في حين كان الجزء الجنوبي تحت سيطرة مصر.[1]

يُعتقد بلا شك أن الدولة الفاطمية كانت مطّلعة على أهداف الصليبيين وخططهم قبل وصولهم إلى أراضي الدولة البيزنطية، وقد تحققت أهداف الصليبيين في حين كان أمير جيوش الدولة الفاطمية في حالة تردد وتوتر، وتختلف آراء الباحثين فيما يتعلق بتصرفاته، فبعضهم يزعم بأنه ارتكب خيانة بينما يرى آخرون أنه كان يعمل على مساعدة الصليبيين وتسهيل فتوحاتهم، وتشير بعض الدراسات إلى أن الفاطميين كانوا على علم بقدوم الحملة الصليبية إلى بلاد المسلمين، و هم من وجهوا الدعوة الرسمية للصليبيين للقدوم إلى بلاد الشام لتقسيمها بينهم.[2]

يصف المؤرخون المسلمون هذا الاستدعاء بأن الفاطميين "رووا قوة الدولة السلجوقية واستيلائها على بلاد الشام حتى غزة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية تمنعهم... فخافوا وأرسلوا دعوة للفرنج للخروج إلى الشام للسيطرة عليها وأن يكونوا بينهم وبين المسلمين السلاجقة"،[3] هذا الواقع ينفي آراء بعض المؤرخين الذين اعتبروا أن السبب الرئيسي للاتفاق بين الفاطميين والصليبيين هو معاناة مصر من الفوضى والانقسام والصراعات السياسية، بدلاً من الأزمة الاقتصادية والصراع مع السلاجقة على بلاد الشام.[4]

كان رد الصليبيين على تلك السفارة بمرونة واضحة ، بهدف إيهام الفاطميين بقبولهم المبدئي للاتفاقية، لأن هذا الرد كان يهدف إلى التشويش على الفاطميين وإخفاء نوايا الصليبيين

[1]– توفيق عمر، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط ، الإسكندرية، 1986م، ص60.

[2]– توفيق عمر، المرجع نفسه ، ص60–62

[3]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص97.

[4]– المرجع نفسه، ص97.

الحقيقية تجاه القدس وبلاد الشام، كما أنهم كانوا يرغبون في استيلائهم على مدينة أنطاكية التي كانت تُعتبر عقبة يجب عليهم تجاوزها. لذلك، فإن الصليبيين لم يكشفوا عن موقفهم الحقيقي ونواياهم بشأن القدس وبلاد الشام ، وتم إرسال سفارة مصر الفاطمية إلى الصليبيين لإعلان اعترافها الرسمي بهم كقوة جديدة في المنطقة، وقد تم تطوير علاقات سلمية معهم بهدف جني تعاونهم في ضرب السلاجقة السنة، هذا التحالف كان يعتبر مكسبًا هامًا للصليبيين قبل بدء هجومهم على بلاد الشام، حيث ساعدهم في تجنب مواجهة جبهة إسلامية موحدة، بدلاً من ذلك كانوا يواجهون دول وجماعات إسلامية منفصلة يمكنهم التغلب عليها بسهولة، وهو ما يسمح للصليبيين بالاستيلاء على المزيد من الأراضي دون مشاكل.[1]

يتبين أن الفاطميين عملوا على تقديم المعونات المادية والمعنوية للصليبيين أثناء اجتياحهم لبلاد الشام كما فعل البيزنطيون، وكان الهدف الذي يجمع أولئك الطرفين يتمثل في القضاء على السلاجقة السنيين الذين يشكلون خطرا على ممتلكات البيزنطيين في آسيا الصغرى، وكذلك على حكم الفاطميين في مصر.[2]

حث الصليبيون بوجود السفارة الفاطمية، على تشديد الحصار المستمر على مدينة أنطاكية، خاض الصليبيون معارك عنيفة مع المدافعين عن المدينة، وتكبدوا خسائر فادحة على الجانبين، في هذا الوقت قام زعماء الصليبيين بإرسال أربعة جياد تحمل رؤوس قتلى المسلمين إلى مندوبي الفاطميين الذين كانوا يعسكرون بالقرب من القوات الصليبية المحاصرة في أنطاكية، أبدى أفراد السفارة الفاطمية سعادتهم الكبيرة، مما يشير إلى التعصب المذهبي الأعمى الذي أظهروه ممثلو الفاطميين تجاه السلاجقة السنة، يبدو أن وجود الفاطميين بالقرب من معسكر الصليبيين كان

[1]– عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2008م، ص121.

[2]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص98.

يهدف إلى تشجيعهم على عدم رفع الحصار عن المدينة، وعدم إتاحة الفرصة لأهل المدينة لمواجهة هجمات الصليبيين التي حدثت خلال الحصار[1].

أراد الصليبيون الاستفادة أكثر من سفارة الفاطميين، لذلك قرروا إرسال سفارة صليبية ترافق السفارة الفاطمية في عودتها إلى القاهرة، وقد جاءت تلك السفارة الصليبية استجابة لطلب الرسل الفاطميين الذين أرسلهم خليفة مصر الفاطمي خلال الحصار الصليبي لمدينة أنطاكية،[2] وقاد تلك السفارة الصليبية يوحنا الخادم، الذي رافق السفارة الفاطمية أثناء عودتها إلى مصر عبر إحدى السفن الجنوية، وكان الهدف من إرسال السفارة الصليبية هو تقديم الهدايا النفيسة إلى خليفة مصر ووزيره الأفضل، في محاولة من الصليبيين لتحسين العلاقات واستعادة بعض النفوذ في المنطقة.[3]

يبدو أن الهدف الرئيسي للسفارة الصليبية التي توجهت إلى مصر كان إكمال التحالف بين الفاطميين والصليبيين الذي تم تشكيله قرب أسوار مدينة أنطاكية، يظهر أن الفاطميين هم من دعموا هذا الاتفاق، حيث طلبوا بنفسهم إرسال السفارة الصليبية إلى مصر، هذا يشير إلى رغبة الفاطميين في تعزيز العلاقات وتوطيد التحالف مع الصليبيين.[4]

استفاد الصليبيون كثيرًا من الانقسام والتجزئة بين الدول الإسلامية في الشرق الأدنى، في ذلك الوقت كانت المنطقة تعاني من تشتت سياسي وخلافات مذهبية، واستغل الصليبيون هذه الظروف لصالحهم، قام الصليبيون بإرسال رسائل إلى حكام حلب ودمشق – رضوان ودقاق – حيث أعلنوا أن نيتهم فقط هي الاستيلاء على الأراضي التي كانت تحت سيطرة الروم، وأنهم لا يستهدفون غير ذلك وكان هدفهم الحقيقي وراء ذلك التصريح هو منع تقديم المساعدة لصاحب

[1]– بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، المصدر السابق، ص167.

[2]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص56.

[3]– مصطفى الكناني، المرجع السابق، ص127-128.

[4]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص99.

أنطاكية، بعد إنجاز مهمتهم، استطاع الصليبيون مواجهة الدول الإسلامية بشكل منفرد والاستيلاء على إمارة تلو الأخرى ومدينة تلو المدينة في المنطقة، وعلى الرغم من ذلك، رفض حكام دمشق وحلب التعاون مع الصليبيين وبقوا يقاومونهم حيث اعتبروهم أعداء للمسلمين، فقاموا بدعم إخوانهم المحاصرين في أنطاكية واستجابوا لنداء الإنقاذ، حاكم حلب رضوان وصاحبه سقمان بن أرتق[1] اللذان استجابا لنداء ابن ياغي سيان وتدخلا لإنقاذ أنطاكية من قبضة الصليبيين، وتلقى الدعم أيضًا من شيزر وحماة وحمص ومنبج، ومن حكام مدن أخرى مجاورة، هذا يشير إلى توحد المسلمين في الشام لمواجهة الصليبيين، على العكس من سياسة الفاطميين تجاه الصليبيين[2].

تم تجميع جميع القوات الإسلامية في حارم، وتم وضع خطة تفصيلية لشن هجوم مفاجئ على جيوش أنطاكية، في الوقت نفسه خرج جيش ياغي سيان من المدينة لمهاجمة الصليبيين من الجهة المقابلة،[3] هذا وصلت المعلومات السرية التي قام سكان المدينة النصارى بتسريبها للصليبيين، مما أتاح لهم الفرصة للتصدي لمخطط القوات المسلمة، قرر بوهيموند اتخاذ خطة فورية لمواجهة هذا الموقف، حيث أبقى بعض الجنود المشاة لحصار أنطاكية، وخرج برفقته 711 فارسًا لصد الهجوم المسلم، نجح الصليبيون في الحقيقة في هزيمة القوات الإسلامية وتحقيق الانتصار، بفضل المساعدة التي قدمها النصارى الأرمن.[4]

بعد تشديد الصليبيين للحصار على أنطاكية، قاموا ببناء حصن قوي لحماية جنودهم في حال تعرضهم لهجوم من قبل السلاجقة، تم بناء هذا الحصن في مكان سابقاً كان يضم مسجداً للمسلمين، ولذلك سُمي الحصن باسم قلعة ريموند نسبةً إلى ريموند الشخص الذي كان مسؤولاً

[1]– ابن العديم، بغية الطلب ، ص238.

[2]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص312.

[3]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص200.

[4]– ويليام الصوري، المصدر نفسه، ج1، ص132–135.

عن فكرة بنائه،[1] وبعد الانتهاء من بناء الحصن، قام الصليبيون بتعزيز الحصار على أنطاكية ببناء قلعة جديدة في موقع دير قديم قرب المدينة، ومنذ ذلك الحين أصبح من المستحيل على قوافل الإمدادات الوصول إلى المدينة، ولم يعد سكان المدينة قادرين على إرسال قطعانهم إلى المراعي خارج أسوار المدينة، بفعل ذلك تمكن الصليبيون من السيطرة على المدينة، وبدا أن فوزهم أصبح وشيكًا بعد تأمينهم الاتصال بالبحر من جهة والرها من جهة أخرى.[2]

بعدما شاهد كربوغا أتابك الموصل ماحل بأنطاكية قرر تجميع قواتها والانتقال إلى الشام بهدف مواجهة الصليبيين، وأقامت في مرج دابق[3] ، اجتمع معهم في ذلك المكان دقاق بن تتش، وطغتكين أتابك ، وجناح الدولة صاحب حمص ، وأرسلان تتش صاحب سنجار[4]، وسقمان بن أرتق، وأمراء آخرين. تداركت الإمارات الإسلامية الصغيرة في بلاد الشام ضعف قدراتها وعجزها في مواجهة الصليبيين، وبالتالي، استعدت للانضمام إلى جيش كربوغا لمحاربة الصليبيين.[5]

قاد كربوغا قواته في زحف نحو أنطاكية، لكنه أدرك أن الرها في شمال العراق تشكل تهديدًا خطيرًا على خطوط الإمدادات التي تربط بينه وبين إمارته، وقد يتسبب في تعطيلها وهجوم القوات العدوانية على جيشه من الخلف، لذلك قرر حصار الرها بهدف الاستيلاء عليها قبل التوجه إلى أنطاكية، قضى ثلاثة أسابيع أمام أسوار الرها خلال الفترة الأخيرة من شهر جمادى الثانية 1098م، ولكنه فشل في اقتحامها بسبب حصانتها القوية من جهة وحماسة الصليبيين والمساعدة التي قدمتها الأرمن لهم من جهة أخرى.[6]

---

[1]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص324.

[2]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ج1، ص202.

[3]– مرج دابق: قرية قرب حلب، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص416.

[4]–سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية، وقرب الموصل. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر نفسه، مج3، ص262.

[5]– محمد محمد مرسي الشيخ، عصر الحروب الصليبية في الشرق، د.د، د.ب، 1996م، ص145.

[6]– ويليام الصوري، المصدر نفسه، ج1، ص340.

أدرك الصليبيون في شهر جمادى الآخرة (مايو) من نفس العام، صعوبة وضعهم وقرروا إرسال وفد إلى الإمبراطور الكسيوس لطلب المساعدة، كان الهدف من ذلك النهوض بالقوات وإنقاذهم، وكان بوهيموند يشعر بالقلق إزاء هذه الخطوة، حيث كان يرغب في الاستيلاء على أنطاكية لنفسه، لذلك كان يروج لفكرة أنه إذا وصل الإمبراطور قبل سقوط أنطاكية، أو إذا لزم الأمر لم يمكن هزيمة كربوغا إلا بمساعدة الإمبراطور، فإنه سيصبح من المستحيل إقناعه بتسليم أنطاكية للإمبراطورية، ومع ذلك لم تكن الظروف مواتية لوصول الإمبراطور بنفسه لإكمال الحصار.[1]

تأثر معسكر الصليبيين سلبًا بسبب عدم مساعدة الإمبراطور البيزنطي لهم في مسيرهم نحو مدينة أنطاكية، مما دفع عددًا من قادة الصليبيين للانسحاب عن حصار أنطاكية والعودة إلى بلادهم، ومن بين القادة الذين غادروا كان القائد ستيفن كونت شارترز، الذي قاد معه حوالي 4000 رجل[2].

أظهر أهل أنطاكية المسلمين في المقابل، شجاعة استثنائية في مواجهة الصليبيين، لم يتهاون حاكم المدينة–ياغي سيان– في الدفاع عنها، وأظهر قدراته العسكرية الفائقة وقوته العزيمة، وتميزت شجاعته وقدرته على التخطيط والتحضير بطرق لم يشهدها أحد من قبل، ومع ذلك لعبت الخيانة دورًا كبيرًا في سقوط المدينة بيد الصليبيين، حيث تآمر بوهيموند مع حراس أحد القلاع في المدينة، وهو رجل أرمني يدعى فيروز (المعروف أيضًا بالزراد)، لتسليم المدينة للصليبيين بعد أن صادر ياغي سيان ممتلكاته وثروته، وقد وافق فيروز بوهيموند على تسليم المدينة مقابل ضمانات الأمان والمكافآت السخية التي قدمت له.[3]

---

[1]– ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج1، ص345.

[2]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص331.

[3]– ابن العديم، زبدة الحلب ، ص239.

نُفّذت المؤامرة في ظل الظلام الليلي، التي اتفقت عليها فيروز وبوهيموند، مما سمح للصليبيين بالصعود إلى إحدى أبراج المدينة والتسلل إليها، قد تمّ اعتقال وقتل سكان المدينة بشكل وحشي، حيث تم قتل الرجال واحتجاز النساء والأطفال كأسرى، لقد باتت شوارع المدينة مليئة بجثث القتلى، حتى أصبح من المستحيل المشي فيها بسبب الرائحة الكريهة التي تصاعدت من تلك الجثث، لم يكن بإمكان أي شخص أن يسلك الطرق إلا عن طريق الجثث المتناثرة في محاولة للنجاة، فحاول ياغي سيان وبعض فرسانه الأتراك الفرار، ولكنهم سقطوا من خيولهم وقتلوا على يد حطاب أرمني، تم اصطحاب جثة ياغي سيان ورأسه إلى الفرنج في أنطاكية.[1]

بعد استيلاء الصليبيين على مدينة أنطاكية، وجدوا أنفسهم مضطرين لمواجهة تحديات عاجلة وخطيرة، سارعوا بتجهيز أنفسهم وتجهيزاتهم للدفاع عن المدينة من المتوقع هجوم كربوغا القادم، وفي الوقت نفسه كان عليهم تنظيف المدينة بسرعة من آثار المجزرة الرهيبة التي ارتكبوها ضد سكان المدينة المسلمين، عجلوا بدفن جثث القتلى ودفنها في التراب لكيلا تصبح سببًا في انتشار الأوبئة بين الجنود الصليبيين الذين كانوا يستعدون لاحتلال مناطق جديدة.[2]

وصل الحلف الإسلامي بقيادة كربوغا إلى أنطاكية في 3 رجب 491 هـ/ 3 يونيو 1098 م في اليوم التالي لاحتلال المدينة بواسطة الصليبيين، وقاموا بفرض حصار حول المدينة،[3] بمجرد أن علموا أن القلعة لا تزال تحت سيطرة المسلمين، حاول كربوغا بقواته دخول المدينة عن طريق القلعة، ولكن الصليبيين، بقيادة بوهيموند، جمعوا قواتهم العسكرية وبذلوا قصارى

[1]– الشارتري فوشيه، تاريخ الحملة الى القدس، تر: زياد العسلي، دار الشروق، الأردن، 1990م، ص58.

[2]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ج1 ، ص202.

[3]– ذكر ابن العديم أن كربوغا وصل إلى أنطاكية يوم الثلاثاء السادس من رجب. أنظر، ابن العديم، زبدة الحلب، المصدر السابق، ص240.

جهدهم لمنعه من الدخول إلى المدينة. قاموا أيضًا بإقامة تحصينات جديدة أمام القوات الإسلامية.[1]

لما انتاب الصليبيين اليأس، وأيقنوا بالهلاك، أرسلوا إلى كربوغا سفارة من رجلين – أحدهما بطرس الناسك – وعرضوا عليه الاستسلام مقابل تأمينهم للخروج من أنطاكية، إلا أن كربوغا رفض ذلك، وقال لهم: "لا تخرجون إلا بالسيف"، فلم يبق أمام الصليبيين سوى الحرب.

زعم رجل صليبي في تلك الفترة، يدعى بطرس بارثلميون أن القديس أندرو يظهر له في الحلم ويأمره بالذهاب إلى ريموند الصنجيلي، وأخبره أن الحربة المقدسة التي طعن بها المسيح تم دفنها في كنيسة القديس بطرس في أنطاكية، وأنهم إذا استخرجوها، سيكون النصر حليفهم، عندما قام أحد الجنود الصليبيين باستخراج الحربة، زادت حماسة الصليبيين وتحمسهم، أفاد أحد القساوسة الصليبيين قادتهم بأن المسيح والسيدة العذراء تظهران له في رؤى، وأخبره بأنه إذا تاب جنود الجيش عن الخطايا التي ارتكبوها، فإن النصر سيكون لهم.[2]

أمر بوهيموند رجاله بالخروج من أنطاكية لمواجهة المسلمين، الذين كان بإمكانهم التغلب على الصليبيين عندما يخرجون من أنطاكية في شكل جماعات صغيرة، ومع ذلك، لم يقم المسلمون بأي هجوم، لأنهم كانوا واثقين من فوزهم على الفرنجة[3]، عندما اكتمل خروج الصليبيين من أنطاكية ونظموا صفوفهم حققوا النصر على المسلمين، ويروي ابن الأثير سبب هزيمة المسلمين بأن كربوغا أولًا استهان بهم وتجاهلهم، وثانيًا منعهم من قتل الفرنجة.

عاد سقمان بن أرتق–قائد الأراتقة– بعد هزيمة القوات الإسلامية بقيادة كربوغا في معركة أنطاكية ضد الصليبيين إلى القدس حيث كان أخوه إيلغاري متواجدًا، ومع ذلك لم تستمر

---

[1]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج1، ص372.

[2]– ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1989م، ص131–132.

[3]– ابن العديم، زبدة الحلب، ص241.

إمارتهما لفترة طويلة، بسبب استغلال الفاطميين الفوضى السياسية والاختلال العسكري الناتج عن هزيمة الحلف الإسلامي بقيادة كربوغا على يد القوات الصليبية بعد حصارهم في أنطاكية، وقد عمل الفاطميون من جانبهم على تنفيذ اتفاق التحالف بينهم وبين الصليبيين، والذي تم التوقيع عليه عندما كان الصليبيون محاصرين في أنطاكية.[1]

صمد الأراتقة أمام الحصار الذي فرضه الفاطميون على بيت المقدس، ورغم ذلك أصروا الفاطميون على استعادة السيطرة عليها، نصب الفاطميون المنجنيقات وقاموا بقصف المدينة، مما أدى إلى تدمير أجزاء من أسوارها، استمرت المعارك بين الجانبين لمدة أكثر من أربعين يومًا، وفي النهاية اضطر سقمان وأخوه ايلغازي ابني أرتق للتوصل إلى اتفاق مع الأفضل، حيث اتفق الأراتقة مع الفاطميين على منحهم الأمان والسماح لهم بمغادرة بيت المقدس، وسار سقمان نحو الرها بينما ذهب أخوه إلى العراق، فتولى الوالي الفاطمي الأفضل إدارة بيت المقدس، وعين وزيرًا فاطميًا معروفًا بافتخار الدولة[2] للإشراف عليها، ثم انتقل الوزير الفاطمي الأفضل إلى عسقلان برفقة جنوده وعاد إلى مصر.

استولى الصليبيون على مدينة أنطاكية بعد هزيمة السلاجقة، واستسلم الوالي السابق أحمد بن مروان لهم، ومنحوا القلعة للصليبيين، قام الصليبيون بإطلاق سراحهم وسراح من كان معه في القلعة وخروج الأرمن، وقام البعض منهم بالانضمام إلى الصليبيين، في حين قتل البعض الآخر منهم، ولم ينجُ منهم سوى عدد قليل،[3] مما يشير بوضوح إلى تعاون الأرمن المسيحيين مع الصليبيين في منطقة بلاد الشام.

---

[1]– محمد سهيل طقوش، ، المرجع السابق، ص170.

[2]–ابن العبري غريغوريس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي، تاريخ مختصر الدول، تص: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط2، لبنان، 1994م، ص342.

[3]– ابن العديم، زبدة الحلب، ، ص241.

فُتحت الطريق أمام الصليبيين للتوجه نحو بيت المقدس بعد هذا الانتصار، ومع ذلك لم يتسارع الصليبيون في تقدمهم بسبب الخلافات بين قادتهم والصراع مع الإمبراطور البيزنطي بشأن مصير أنطاكية،[1] ومع ذلك تمكن بوهيموند من حل هذه الخلافات مع القادة الصليبيين واستولى بشكل حاسم على المدينة، على الرغم من معارضة ريموند الصنجيلي، قام بطرد جنود زملائه وأنشأ قوة حامية خاصة به لحماية المدينة، وحصل بوهيموند على لقب "أمير أنطاكية".[2]

بعدما استولى بوهيموند على أنطاكية وطرد جنود الأمراء الصليبيين الآخرين، لم تتم حسم الأمور في المدينة بشكل نهائي، فالإمبراطور البيزنطي يدعي أنه له الحق الشرعي في السيطرة على أنطاكية، حيث كانت تحت سيطرته قبل أن يتم فتحها من قبل المسلمين، بالإضافة إلى ذلك تم توقيع اتفاقية بين الإمبراطور البيزنطي والصليبيين في القسطنطينية عام 1097م، والتي تنص على تسليم الأملاك البيزنطية التي سيطر عليها المسلمون في آسيا الصغرى إلى الإمبراطورية البيزنطية.[3]

قاطع الصليبيون مطالب الإمبراطور بسبب تجاهله لمساعدتهم أثناء حصارهم لمدينة أنطاكية وعلاوة على ذلك لم يحضر الإمبراطور بنفسه لتسليم المدينة ولم يشارك الصليبيين في حملة بيزنطية لدعمهم في الهجوم على بيت المقدس، ولم يقدم لهم المؤن والمساعدات التي كانوا يحتاجونها لإتمام مشروعهم الضخم، حيث طلب منهم الانتظار حتى التاسع من شهر شعبان لعام 492 هجري (أول يوليو 1099م)، ولكن قادة الصليبيين اجتمعوا وقرروا الانطلاق في الزحف نحو بيت المقدس في التاسع والعشرين من شهر شعبان لعام 491 هجري (أول نوفمبر 1098م).[4]

---

[1]- ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص17، 20-21.

[2]- ريموند اجيل، المرجع السابق، ص151. ويليام الصوري، المصدر نفسه، ج1، ص421.

[3]- أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص106.

[4]- ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة، المرجع نفسه، ص163.

في حين كان الإمبراطور يتعهد بمساعدة الصليبيين في استعادة بيت المقدس من المسلمين، قام في الواقع بتشكيل اتفاق سري مع الفاطميين في مصر ضد الصليبيين، يدعم هذا الاتفاق ما ذكره ريموند اجيل، حيث اكتشف الصليبيون في خيمة الأفضل مجموعة من الرسائل التي بعثها الإمبراطور البيزنطي كومنينوس إلى الأفضل، وفي هذه الرسائل، كان كومنينوس يشير إلى ضعف الصليبيين ويحرضه على محاربتهم،[1] يبدو أن كومنينوس كان يرغب في الانتقام من الصليبيين بسبب خيانتهم ورفضهم إعادة أنطاكية إلى الإمبراطورية البيزنطية، ومع ذلك يبدو أن الأفضل لم يستجب لنصائح كومنينوس، وذلك ربما لتنفيذ بنود الاتفاق الموقع بين الفاطميين والصليبيين.[2]

يمكن استنتاج من المعلومات السابقة أن الإمبراطور البيزنطي أظهر تفضيلًا أقل تجاه تحقيق أهداف الصليبيين في احتلال مدن بلاد الشام والسيطرة على بيت المقدس، مقارنةً بالحرص الذي أبداه في استعادة الأراضي التي احتلتها السلاجقة المسلمون، وقد تعاون الإمبراطور مع الصليبيين أو الفاطميين بهدف استعادة هذه الأراضي.

نتيجة انتشار مرض الطاعون في أنطاكية أثناء تواجد الصليبيين فيها، توفي الآلاف منهم، بما في ذلك الأسقف البابوي أدهيمار، الذي لعب دورًا هامًا في توحيد الصليبيين نحو هدفهم الأسمى، وهو احتلال بيت المقدس واستعادته، بسبب هذا الوضع قام الصليبيون بالانتقال خارج أنطاكية في غزوات وجولات قريبة بهدف الابتعاد عن منطقة الوباء،[3] وللحصول على الإمدادات والمؤن من أموال المسلمين[4].

[1]- ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة، المرجع السابق، ص188.

[2]- أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص106-107.

[3]- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص219.

[4]- ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص19.

احتل الصليبيون مدينة البارة في نهاية شهر شوال،[1] وقد أقدموا على ارتكاب مجزرة رهيبة بحق سكانها، حيث قاموا بقتلهم جميعًا دون تفرقة، وثم انتهزوا فرصة الفوضى للمساومة على مقتنيات المدينة،[2] وقد تم تأمين سلامة أهل البارة من قبل الصليبيين، قبل أن يقوموا بنهب كل ما هو موجود في المدينة.[3]

[1]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص34.

[2]– الشارتري فوشيه، تاريخ الحملة الى القدس، ص68.

[3]– ابن العديم، زبدة الحلب، ص244.

المبحث الثاني: الاحتلال الصليبي على بيت المقدس وموقف الفاطميين منه

وصلت القوات الصليبية إلى مدينة الرملة في يوم 11 رجب493هـ/ 3 يونيو1099م، [1] وقاموا باحتلالها بعد أن هجر سكانها عندما سمعوا بقرب وصول الصليبيين،[2] وترك سكان الرملة وراءهم حامية صغيرة وكانت بعيدة عن البحر، مما صعَّب على الأسطول الفاطمي مساعدتهم، فقام الصليبيون بتدمير كنيسة القديس جورج[3] الكبيرة في مدينة اللّد[4] المجاورة للرملة عندما دخلوها، وبعد احتلال الرملة قام الصليبيون بإعادة ترميم الكنيسة وتعيين أسقف لحمايتها.[5]

تمكن الصليبيون من عبور المدن الساحلية التابعة للفاطميين بعد أن استولوا على مدينة الرملة في عام1099م، دون مواجهة أي عوائق، على الرغم من وجود قوات الدولة الفاطمية في جنوب الشام وعلى ساحل البحر المتوسط، إلا أن الصليبيين تمكنوا من عبور تلك المدن بسهولة، قد سيطروا على تلك المناطق قبل بضع سنوات وأقاموا حواجز عسكرية برية فيها، ولم يعتمدوا بشكل كبير على الدعم البحري من الأسطول الفاطمي الذي كان موجودًا ومن المفترض أن يقدم المساعدة.[6]

---

[1]– الشارتري فوشيه، تاريخ الحملة ، ص70؛ ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص66–69.

[2]– بطرس توديبود، تاريخ الرحلة ، ص294؛ ويليام الصوري، المصدر نفسه، ج2، ص66.

[3]–القديس جورج: شخصية خيالية من المفروض أنه قتل في نيقوميديا حوالي سنة 300م، ونقلت عظامه إلى اللد، مسقط رأسه. أنظر: بطرس توديبود، المصدر نفسه، ص312.

[4]– اللّد: قرية تقع تحديدا على بعد ما يقارب 38كم إلى الشمال الغربي من مدينة بيت المقدس ويفصلها عن مدينة يافا حوالي 16كم، وحوالي 5كم عن مدينة الرملة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص15.

[5]– بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، المصدر نفسه، ص294.

[6]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص114.

بينما كان الصليبيون في الرملة، عُقد مجلس حرب لمناقشة الخطوات المقبلة، وفي هذا المجلس كانت هناك آراء متضاربة بين الزعماء الصليبيين بشأن ضرورة مهاجمة مصر لضمان أمانهم في القدس المحتلة، ومع ذلك تم رفض هذا الرأي من قبل معظم الزعماء الصليبيين.[1]

يتضح من خلال رفض معظم القادة الصليبيين فكرة مهاجمة مصر، أنهم كانوا يدركون الأهمية الاستراتيجية لمصر والتهديد الذي قد تشكله على ممتلكاتهم في بلاد الشام، خاصة إذا تمكنوا من استعادة بيت المقدس، فالفاطميون الذين كانوا يسيطرون على بيت المقدس كانوا يعتمدون على مصر كمركز لهم، وبالتالي، كانت مصر تعتبر البوابة الجنوبية لبلاد الشام.[2]

أثناء سير الصليبيين نحو المدينة المقدسة، تمكنوا من عبور قرية عمواس[3] وفي هذا الوقت، وصلت رسالة من نصارى بيت لحم[4] إلى جودفري بويون، تطلب النجدة والحماية من التهديد الذي كانوا يواجهونه من الفاطميين ردًا على هذه الدعوة،[5] سارعا تنكرد وبلدوين دي بورج الثاني مع مجموعة من الفرسان لمساعدة نصارى بيت لحم، وعند وصولهم إلى بيت لحم، تم استقبالهم بحفاوة من قبل سكانها المسيحيين، بذلك يظهر أن نصارى جنوب الشام وقفوا إلى جانب الصليبيين، تمامًا كما فعل إخوانهم في شمال بلاد الشام[6].

---

[1]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص240.

[2]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص115.

[3]– عمواس: كورة من فلسطين، تبعد ستة أميال (حوالي 9 كلم) عن الرملة، تبعد عن يافا حوالي 30 كم ومثل ذلك تقريباً عن القدس. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 157.

[4]–بيت لحم: مدينة فلسطينية تقع في الضفة الغربية على بعد 10 كم إلى الجنوب من القدس، وهي عامرة وحافلة وتضم العديد من الكنائس. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص521.

[5]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص70.

[6]- فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص70.

تجمعت كل قوات الصليبيين أمام مدينة بيت المقدس وفرضوا الحصار عليها في 15 رجب492هـ / 7 يونيو1099م،[1] في تلك الفترة كانت القدس تحكمها الدولة الفاطمية وكان حاكم المدينة قد أمر بإعادة بناء الأجزاء المتضررة من السور بعدما استولى عليها الأفضل بن بدر الجمالي،[2] وقد زاد ذلك من تحصين المدينة وتأكيد سلامة أسوارها، بالإضافة إلى ذلك قام الفاطميون بتسميم الآبار وقطع إمدادات الماء وإخفاء المواشي، وقاموا بطرد جميع النصارى الذين كانوا في المدينة للدفاع عن بيت المقدس، واعتمد الفاطميون على قوات جيش مصر والسودان.[3]

لم تتوقف الاستعدادات عند هذا الحد ، بل تم استدعاء سكان المدينة والحامية الفاطمية من المدن المجاورة، وتم جمع عدد كبير من الرجال المسلحين القويين وتجهيزهم بالسلاح،[4] وباشتداد الحصار حرص حاكم المدينة على توفير مؤن كافية لسكان المدينة والحامية في حال استمراره لفترة طويلة، فقام خليفة مصر بإرسال أموال من خزانته الخاصة إلى سكان بيت المقدس بهدف كسب ولائهم، وابقاءهم بعيدًا عن الضرائب والمكوس، وتمنحهم العفو التام.[5]

وصلت سفن جنوية إلى ساحل يافا في تلك الأثناء، ، تحمل المؤن والإمدادات التي يحتاجها الصليبيون في الحصار، استولت السفن الجنوية والصليبيون على يافا بعد أن هجر سكانها بسبب ضعف تحصيناتها، عندما علم الفاطميون بوجود هذه الأسطول، خرجوا من عسقلان في محاولة لمواجهته، فهاجموا الأسطول الجنوي فجأة، لكن الجنويين احتموا في قلاع يافا،[6] بعد

---

[1]– فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص71. ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص94.

[2]– سيد علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، المطبعة العمومية، ط1، مصر، 1317هـ/1899م، ص23.

[3]– حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، ط1، مصر، (د.ت)، ص81–82.

[4]– ويليام الصوري، المصدر نفسه، ج2، ص67.

[5]– المصدر نفسه، ج2، ص67.

[6]– ف. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، الإسكندرية، 1985م ، ج1، ص148.

ذلك عاد الفاطميون إلى موطنهم بعد تكبيدهم الأسطول الجنوي خسائر، وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن الفاطميون من منع السفن الجنوية من تقديم المساعدات للقوات الصليبية المحاصرة في القدس، في الوقت نفسه كانت القوة الفاطمية في القدس محاصرة، وانقطع الاتصال بهم، وعلى الرغم من أن الصليبيين لا يزالون بحاجة إلى الأسلحة وأدوات الحصار، وليس لديهم القوة الكافية لتعزيز الحصار ومنع هجمات الفاطميين.[1]

واجهت القوات الصليبية العديد أثناء الحصار الصليبي لبيت المقدس من التحديات الصعبة، تضمنت هذه التحديات ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف، مما تسبب في ظروف قاسية للجنود، كما اشتد نقص الماء بسبب تلويث مصادر المياه من قبل المسلمين،[2] وبدأت المؤن والإمدادات تنفد تدريجياً، ولم يجد الصليبيون الخبز لشرائه بعد مرور عشرة أيام من الحصار، قامت حامية المدينة بمهاجمة الصليبيين الذين يخرجون بمجموعات صغيرة للحصول على الماء، فتفاقمت النزاعات بين القادة الصليبيين بشأن مصير المدينة المقدسة بعد الاستيلاء عليها، مما أضاف عنصرًا آخر من التوتر داخل صفوف الصليبيين، بالإضافة إلى ذلك تلقت القوات الصليبية أنباء عن قدوم جيش ضخم من مصر لنجدة حامية القدس الفاطمية، هذا الخبر زاد من التوتر والقلق بين الصليبيين، حيث كانوا يواجهون تحديًا إضافيًا للحفاظ على حامية المدينة المقدسة.[3]

أدرك الأمراء الصليبيون أهمية الاستيلاء على بيت المقدس بأسرع وقت ممكن، قبل وصول أية إمدادات للحامية الفاطمية من مصر، لذا قاموا بتشديد حصارهم على المدينة ونصبوا آلات

[1]– محمد محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص160.

[2]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص99–100.

[3]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص117.

الحرب والأبراج الخشبية حولها،[1] وضعوا السلالم الخشبية على أسوار القدس لاقتحامها،[2] ومع ذلك عندما أدرك المدافعون عن المدينة الإجراءات التي اتخذها الصليبيون للحصار، قاموا بتعزيز تحصينات المدينة وزيادة الحراسة على الأبراج والقلاع، وخاصةً خلال الليل.[3]

بدأت المعركة الحاسمة حيث تقترب آلات الحرب الصليبية من أسوار المدينة في 22 شعبان 492 هـ / 14 يوليو 1099 م ، فقام المدافعون المسلمون بمهاجمة المقاتلين الصليبيين بالأحجار والسهام والخشب والقش المشتعلة،[4] مما أسفر عن مقتل عدد كبير من الصليبيين وجرح آخرين بواسطة المواد الملتهبة التي ألقيت من داخل المدينة وعلى الأسوار.[5]

كان رد الصليبيون على هذا الهجوم ببناء برجين عاليين، أحدهما بباب صهيون[6] والآخر بين باب العمود وباب الأسباط، وتم إنشاء برج ثالث والعديد من الآلات الحربية الأخرى، وفي المقابل قام المسلمون بحرق البرج الذي كان بباب صهيون وقتل كل من كان فيه،[7] أما البرج الآخر فقد تم زحفه وتثبيته على السور مما سمح للصليبيين بالسيطرة على جزء من سور المدينة وانهزام المسلمين.[8]

---

[1]- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص244. بطرس توديبود، المصدر السابق، ص317.

[2]- سهيل زكار، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995م، ج6، ص167.

[3]- سهيل زكار، ، المرجع نفسه، ص167-168.

[4]- ريموند اجيل، المصدر السابق، ص245. فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص74.

[5]- ويليام الصوري، المرجع السابق، ج2، ص118.

[6]-باب صهيون: جبل كبير مرتفع يقع إلى الجنوب من بيت المقدس، ويتسم بالانحدار الخفيف من جهة بيت المقدس. أنظر: دانيال الراهب، وصف الأرض المقدسة، تر وتع: سعيد عبد الله البيشاوي وداود إسماعيل أبو هدبة، دار الشروق، ط1، عمان، 2003م، ص 71. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص436.

[7]- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، ط5، القدس، 1999م، ج1، ص153.

[8]- أحمد بن الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، د.ط، دمشق، 1981م، ص65.

استطاع الصليبيون اقتحام المدينة، فسقطت بيت المقدس في أيدي الصليبيين في يوم الجمعة 23 شعبان 492 هـ / 15 يوليو 1099 م بعد حصار استمر لمدة 38 يومًا،[1] في هذه الفترة انتشر الفرنجة في المدينة وبدأوا في قتل المسلمين، تم قطع رؤوس بعض المسلمين وتعذيب آخرين بشكل مروع، حيث تم حرقهم حتى الموت في اللهب المتأجج، تراكمت الرؤوس والأيدي والأقدام في الشوارع والبيوت،[2] وشهدت المدينة مذابح فظيعة وشنعاء، حيث كان تدفق الدماء مريبا، وصار النصراء أنفسهم يشعرون بالخوف والقرف من المشاهد التي تحدث في المدينة.[3]

تجمع الهاربون بأنفسهم في المسجد واستسلموا للصليبيين، وقام الصليبيون بقتلهم بلا هوادة طوال اليوم، فتدفقت الدماء داخل المسجد حتى امتلأ بالدم، حتى وصلت الدماء إلى قوائم خيول الصليبيين، وقد بلغ عدد المسلمين الذين قتلوا في المسجد الأقصى أكثر من سبعين ألفاً، ولم يسلم اليهود أيضًا من القتل، حيث أحرق الصليبيون المكان الذي احتموا به، بما في ذلك الكنيس[4].

بالإضافة إلى المذبحة التي ارتكبها الصليبيون في بيت المقدس نفسها، تم تسليم المدينة للصليبيين وسمح لهم بالنهب والسلب بلا قيود، لم يميزوا بين البيوت وأماكن العبادة، استولوا على كميات كبيرة من الثروات، حيث أخذوا نصفًا وأربعين قنديلاً من الذهب، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، كما نهبوا ممتلكات لا يمكن تقدير قيمتها بالمعادلة المادية.[5]

---

[1]- بطرس توديبود، المصدر السابق، ص319. ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص137.

[2]-ريموند اجيل، المصدر السابق، ص247.

[3]- ويليام الصوري، المصدر نفسه، ج2، ص126.

[4]-عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1997م، ج3، ص121.

[5]- بطرس توديبود، المصدر نفسه، ص318-319، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1992م، ج17، ص47.

أما افتخار الدولة حاكم المدينة الفاطمي فاحتمى مع طائفة من جنوده في محراب داوود (عليه السلام) وقاتلوا فيه لمدة ثلاثة أيام، لم يستمروا طويلاً قبل أن يُلقوا السلاح ويسلموا المحراب، بعد أن أمنهم الصليبيون الذين سمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان، وكان عددهم حوالي خمسمائة،[1] وهم الوحيدون الذين نجوا من المذبحة التي وقعت في المدينة، وقد قُتل في تلك المذبحة سبعين ألفًا من المسلمين، بما في ذلك جماعة كبيرة من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد الذين تركوا أوطانهم للانتماء لذلك الموضع الشريف، ولو كانت بيت المقدس تحت سيطرة الفاطميين، لكان أكثر أمانًا للمسلمين، ولكن الدولة الفاطمية تلقت تلك الأخبار في برودة، وظلت مستسلمة للسبات العميق.[2]

تمكنت الحملة الصليبية الأولى من تحقيق هدفها بالاستيلاء على بيت المقدس، حيث أنشأ الصليبيون ثالث وحدة سياسية في الشام إلى جانب الرها وأنطاكية، ومن خلال ذلك بدأت تتشكل دولة صغيرة للصليبيين، وبمرور الوقت تحولت إلى مملكة صليبية تدير شؤونهم في بلاد الشام، فيرون البعض أن احتلال الصليبيين لبيت المقدس قد وضع حدًا لأي طموحات للفاطميين في السيطرة على بلاد الشام.[3]

بعد احتلال الصليبيين لبيت المقدس، كانت أحد التحديات الرئيسية التي واجهوها هي التعامل مع جثث الضحايا في جميع أنحاء المدينة، حيث قاموا بحرق بعض الجثث ودفن البعض الآخر، بدأت مناقشات حول مشكلة الحكم في المدينة المقدسة، حيث اجتمع الزعماء الصليبيون، بما في ذلك القساوسة والقادة العلمانيين، لاتخاذ قرارات بشأن الحكم في المدينة،

[1]– فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص77.

[2]– سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص245.

[3]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص119.

يجدر بالذكر أن البابا أوربان الثاني الذي توفي قبل أن يتلقى خبر استيلاء القدس، لم يحدد نظام الحكم في المدينة المقدسة[1].

بدأت تظهر انقسامات داخل صفوف الجيش الصليبي، فقد انحاز القساوسة والأساقفة نحو فكرة إقامة دولة بابوية في المدينة المقدسة، بينما رفض كبار القادة هذا الاقتراح ورأوا ضرورة أن يتولى أحدهم الحكم[2]، وتم تفضيل اختيار أمراء علمانيين وقادة عسكريين لتنظيم أمور الصليبيين، وتوافق الآراء حول تعيين جودفري كزعيم لهم، فتم انتخابه في 1 رمضان 492هـ / 22 يوليو1099م، ليكون "حامي الضريح المقدس"[3] .

يمثل هذا الاختيار بداية مرحلة جديدة في الصراع الصليبي الإسلامي، الذي بدأ بإنشاء الصليبيين لإمارات في أراضي أمراء المسلمين في بلاد الشام، كان أمراء المسلمين منقسمين على أنفسهم، حيث يرغب كل أمير في تحقيق رغباته الشخصية في الزعامة والسلطة، وظهر هذا بشكل واضح عندما قدم الفاطميون اقتراحًا للصليبيين بمشاركة أراضي الشام، وحتى على حساب السلاجقة المسلمين الذين قاوموا العدوان الصليبي في آسيا الصغرى وبلاد الشام، وقد كان لذلك تأثير كبير في تشجيع الصليبيين على مواصلة اعتداءاتهم على أراضي المسلمين في الشام، بدلاً من أن يتبع أمراء المدن الفاطمية في الشام نهجًا مماثلاً لقادتهم في مصر بمصالحتهم وتقديم المساعدة للصليبيين.[4]

[1]– ويليام الصوري، المصدر السابق، ج2، ص136.

[2]– المصدر نفسه، ج2، ص143–144.

[3]– فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص77.

[4]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص120.

المبحث الثالث:

موقف الفاطميين من الصليبيين عقب سقوط عسقلان وعلاقتهما بنور الدين محمود.

كانت الخلافات في مصر على أشدها في الوقت الذي سيطر فيه الصليبيون على مدينة عسقلان، حيث تم اغتيال الخليفة الفاطمي الظافر بمؤامرة نُفذت من قبل وزيره عباس وابنه نصر وبتوجيه من أسامة بن منقذ الكناني، ولكن لم يكتفِ الوزير عباس بذلك الحد، بل قام بقتل اثنين من إخوة الخليفة، وهما يوسف وجبريل واتهمهما بقتل الخليفة الظافر، بعد ذلك قام الوزير عباس بإحضار ابن الظافر الصغير البالغ من العمر خمس سنوات واسمه عيسى، وقد قام بتوجيهه كخليفة ومنحه لقب الفائز بنصر الله، فتم توجيه هذا الصبي الصغير كخليفة رغم صغر سنه، ليكون الخليفة الفاطمي الجديد.[1]

قام الوزير عباس بأفعال فاسدة بحق أهل القصر الفاطمي، حيث استولى على أموالهم وجواهرهم الثمينة، وبسبب ذلك تحدثت الكلمة في مصر عن الظلم الذي تعرضوا له، فاستيقظ أهل القصر على هذا الظلم وثاروا ضده، وجمعوا تأييدهم من جنود السودان الذين كانوا في القاهرة، كما طلبوا المساعدة من الصالح طلائع بن رزيك، الذي كان يقيم في منية بني خصيب[2] وكان حاكمًا لتلك المنطقة ومسؤولًا عن أعمالها[3].

[1]– تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، القاهرة، 1996م، ج3، ص239.

[2]– مدينة حسنة كبيرة، كثيرة الأهل والسكن، تقع على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى.

أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص218.

[3]– المصدر نفسه، ج3، ص215.

استغل طلائع بن رزيك نداء أهل القصر وجمع أنصاره، وتوجه بهم نحو القاهرة لمواجهة الوزير عباس، وعندما علم عباس بقدوم طلائع، هرب إلى الشام وأخذ معه الأموال التي جمعها من قصور الفاطميين، في طريقه إلى الشام التقى الصليبيون وقتلوه واحتجزوا ابنه نصراً ونهبوا ما كان بحوزته، بعدها دخل طلائع بن رزيك القاهرة وظهر كقوة سياسية جديدة في مصر، نظرًا لضعف الخلفاء الفاطميين وغياب دورهم في الحكم[1].

قام طلائع بعد دخوله القاهرة بإطاحة الوزير الفاطمي واستلم الحكم، ثم قدم عروضاً سخية للصليبيين للتخلص من معارضيه، وقاموا بإرسال نصر بن عباس للقضاء عليهم، واستجاب الصليبيون وأرسلوا نصاراً للتنفيذ، حيث قُتِل وصُلِب في القاهرة، قام طلائع أيضًا بقتل عدد من الأعيان في مصر واستولى على أموالهم، خشية من أي تحدي أو منافسة في منصب الوزارة، وهكذا استقرت الأمور في مصر تحت حكم طلائع بن رزيك.[2]

تعتبر مصر موضع اهتمام القوى الخارجية بسبب اضطراب أوضاعها وعدم استقرارها، والصراعات المستمرة بين الوزراء وقادة الجيش، العباسيون يأملون في استعادة الخلافة العباسية في بغداد، ويرى في مصر البوابة الحقيقية لطرد الصليبيين من بلاد الشام، لذا المقتفي لأمر الله العباسي[3] كتب عهدًا لنور الدين محمود–صاحب دمشق– بولاية مصر والساحل، وأرسل إليه مراكب وأمره بالانتقال إلى مصر بعد وفاة الظافر وتولي الفائز الحكم.[4]

---

[1]– شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، لبنان، 1995م، ج37، ص52. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص217–218.

[2]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص193.

[3]– المقتفي لأمر الله العباسي: أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله، ولد سنة 489هـ، من أم حبشية، وبويع له بالخلافة سنة 530هـ، وتوفي سنة 555هـ. أنظر: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار المنهاج، ط2، جدة، 2013م، ص671.

[4]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص49. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص 223.

توسعت الأطماع الخارجية في مصر لم تقتصر فقط على العباسيين، فقد سعى الصليبيون أيضًا لتوسيع نفوذهم في البلاد، استغل الصليبيون الوضع الضعيف الذي كانت تعاني منه الخلافة الفاطمية والصراعات الداخلية بين الوزراء للسيطرة على مصر، فتم دعم هذا الاتجاه بسيطرة الصليبيين على مدينة عسقلان وسقوط دمشق بيد نور الدين محمود في عام 1154م،مما جعل من الصعب على الصليبيين التركيز على شمال الشام وشرقه نظرًا لظهور قوة جديدة في تلك المنطقة[1].

أرسل الصليبيون حملة عسكرية كبيرة في عام 1154م، تتألف من خمسين سفينة، من جزيرة صقلية إلى مدينة تنيس، وهاجموا المدينة وقتلوا وأسروا ونهبوا قدر ما استطاعوا، ثم عادوا بالغنائم والثروات الهائلة بعد ثلاثة أيام فقط من الهجوم على المدينة.[2]

قرر طلائع بن رزيك مصالحتهم بالمال في ظل تهديد الصليبيين، من الخزانة وأموال الأمراء المقطعين، ومع ذلك رفض الأمراء المقطعين الاستجابة لعرضه وحاولوا عزله وتعيين أمير آخر،[3] هذا يشير إلى انفراد طلائع بن رزيك بأمور الدولة الفاطمية في مصر بغض النظر عن مصالح الخليفة أو أمراء الأقاليم الذين كانوا ينظرون فقط لمصالحهم الشخصية بدون مراعاة الوضع السياسي والاقتصادي لمصر، وعندما طلب طلائع المال منهم لصالحة الصليبيين، قاوموه ورفضوا تقديم المال للصليبيين حتى يحافظوا على أملاكهم ومكانتهم.[4]

اضطر طلائع بعد ذلك إلى التراجع عن عقد الهدنة مع الصليبيين نتيجة لسيطرة نور الدين على مدينة دمشق في عام 549هـ/1154م، بدأ طلائع شن هجماته على الصليبيين، وكانت

[1]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، د.ط، بيروت،1908م، ص327.

[2]– ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص331. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص207.

[3]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج37، ص52.

[4]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص194.

أول حملة له تتمثل في رحلة استطلاعية لأسطول الفاطمي بحرًا في عام 550هـ/1155م، فاختار طلائع جماعة من رجال البحر الذين يجيدون اللغة الفرنجية للقيام بهذه المهمة، حيث انطلقوا في البحر لاستطلاع المناطق والأماكن والمسارات،[1] ثم هاجم الأسطول ميناء صور واستولى على المراكب والأموال الموجودة فيه، وقاموا بقتل عدد من الصليبيين، بعدها عاد الأسطول إلى مصر بعد أن قاموا بالاستقرار في صور واستولوا على مراكب تعود للحجاج المسيحيين.[2]

حدث تقارب بين طلائع بن رزيك–القاهرة– ونور الدين زنكي–دمشق– في ربيع الأول 552هـ/ أبريل 1157م، فأرسل نور الدين رسولًا يُدعى زين الحجاج إلى القاهرة، وكان يحمل رسائل من طلائع بن رزيك والخليفة الفاطمي الفائز بأمر الله لنور الدين،[3] ويبدو أن التقارب الذي حدث بين الجانبين كان بهدف مواجهة تهديد الصليبيين في بلاد الشام، فاستجاب طلائع بن رزيك لطلب نور الدين بالتصدي للصليبيين، وبدأ في تجهيز حملة فاطمية كبيرة تتألف من العساكر والعربات من البلاد لشن هجوم على مملكة بيت المقدس الصليبية.[4]

أرسل طلائع بن رزيك سرية عسكرية سرية لشن هجوم على الصليبيين في 17 جمادى الأولى 552هـ / 27 يونيو1157م، وفي 14 جمادى الآخرة / 24 يوليو من نفس العام، أرسل سرية أخرى وتمكنت السرية الأولى من الوصول إلى غزة[5] حيث نهبت المنطقة، ثم توجهت إلى مدينة عسقلان وأسرت العديد من الأشخاص ونهبت ثرواتهم، وبعدها عادت السرية إلى مصر بحمولة

[1]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص332.

[2]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص224.

[3]– ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص338.

[4]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص230.

[5]– ذكر الذهبي أن الفاطميين تمكنوا من استعادة غزة من يد الصليبيين خلال تلك السرية. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج38، ص15. الذهبي، دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت، 1999م، ج2، ص56.

من الغنائم، في نفس الوقت سعى طلائع بن رزيك إلى تأمين طرق المواصلات بين مصر والشام في ظل التقارب بينه وبين نور الدين محمود، وقام بإرسال سرية ثالثة إلى بلاد الأردن، وواجهت هذه السرية قوات الصليبيين بالقرب من نهر الأردن، وبعد مواجهة عنيفة عادت السرية إلى القاهرة بعد أن حققت نجاحًا كبيرًا، واستمر طلائع بن رزيك في سياسته الهجومية ضد أملاك الصليبيين في بلاد الشام، في شهر رجب / أغسطس من نفس السنة أرسل حملة عسكرية إلى الشوبك ونجحوا في النهب والتخريب وأسروا العديد من الأسرى، كما قام طلائع بن رزيك بمهاجمة مدينة بيروت الساحلية حيث هزم جنود الصليبيين وأسروا بعضهم ونهبوا ممتلكاتهم، ثم أرسل أسطوله البحري للمرة الثانية إلى سواحل الشام حتى وصل إلى عكا وهاجمها، وقاتل جيش الصليبيين هناك وأسروا حوالي سبعمائة شخص، وعاد الأسطول إلى القاهرة في رمضان من سنة 552 هـ / أكتوبر 1157م منتصرًا فأرسل طلائع بن رزيك سرية أخرى للهجوم على أملاك الصليبيين في الشام، وعادوا محملين بالغنائم، وفي أول ذي القعدة / ديسمبر من نفس السنة، أرسل سرية جديدة فوصلوا بعد خمسة أيام إلى أعمال دمشق وعادوا محملين بالغنائم.[1]

قام طلائع بن رزيك بمضاعفة نشاطه العسكري ضد الصليبيين في سنة 553هـ / 1158م، وفي محرم/فبراير من تلك السنة، قاد شمس الخلافة أبو الأشبال ضرغام[2] جيشًا مؤلفًا من أربعة آلاف مقاتل لشن هجوم على مملكة بيت المقدس، وتمكنت القوات الفاطمية من مهاجمة ممتلكات الصليبيين حتى وصولهم إلى منطقة تل العجول بالقرب من غزة، وفي منتصف

[1]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3 ، ص230.

[2]–ضرغام: أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969م، ج2، ص440–442.

صفر/مارس دارت معركة بين الجانبين وانتهت بالهزيمة الصليبية،[1] حيث قتل وأسر العديد منهم، واستولت القوات الفاطمية على ثرواتهم وممتلكاتهم التي لا يمكن حصرها بدقة.[2]

أرسل طلائع الفاطميين جيشًا في جمادى الأولى 553هـ / يونيو 1158م، هاجم أعمالًا مدنية وقرى في مملكة بيت المقدس (المعروفة أيضًا بمملكة القدس)، ونجحوا في الاستيلاء على الغنائم، وحدثت معركة أخرى قرب طبرية حيث تم هزيمة الصليبيين أيضًا، لمواصلة غاراتهم على أراضي الصليبيين، قام طلائع الجيش الفاطمي بتخصيص مبلغ قدره مائة ألف دينار لإعداد جيشهم، وعندما أكمل الجيش استعداداته، تم إرسال خمس سفن في 5 شعبان 553هـ / 1 سبتمبر 1158م إلى مدن الساحل الشامي التي كانت تحت سيطرة الصليبيين، فتمكن الأسطول الفاطمي من الاستيلاء على عدة مراكب للصليبيين واستعادتها، ثم عادوا محملين بالغنائم. بعد ذلك، ولم يتمكن حاكم العريش الصليبي من مواجهة الفاطميين، وقد اضطر الصليبيون تحت وطأة هذه الهجمات إلى طلب السلام مع الفاطميين.[3]

تم رفض الصلح الذي طلبه الصليبيون من قبل الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك، ويبدو أن هذا الرفض جاء في سياق التعاون بينه وبين نور الدين، كان طلائع يطلب من نور الدين بشكل متكرر العمل على مهاجمة مملكة بيت المقدس الصليبية، ويدل على التعاون بين نور الدين والفاطميين في تلك الفترة عودة الرسول النوري الحاجب محمود المسترشدي من مصر، وكان يرافقه أحد مقدمي الأمراء الفاطميين، وكان بحوزته جوابًا على المراسلات التي تمت مع الوزير

[1]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص21. ذكر ابن القلانسي أن تلك المعركة كانت في شهر ربيع أول 553هـ /1158م، المصدر السابق، ص351.

[2]– ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص351.

[3]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص233–234.

طلائع بن رزيك، ومعه أيضًا المال المخصص للخزانة الملكية النورية وأنواع ملابس المصريين والخيول العربية.[1]

أرسل وزير طلائع بن رزيك سرية للهجوم على حامية الصليبيين في بلدة العريش في رمضان 553هـ/ أكتوبر1185م، تمكنت السرية من هزيمة الصليبيين واستولت على أموالهم وخيولهم،[2] ثم أرسلت سرية أخرى إلى بيت جبرين وتمكنت من الانتصار وجلب الغنائم، بعدها قاد طلائع الأسطول الفاطمي هجومًا على أملاك الصليبيين في تنيس، فحقق نجاحًا فيه وحمل الغنائم، في نفس العام هاجم الفاطميون بيت المقدس ووصلوا إلى وادي موسى،[3] ثم شنوا هجومًا على الشوبك، بعدها عاد الجيش الفاطمي إلى مصر.[4]

قام الفاطميون في نفس السنة بمواصلة هجماتهم على ممتلكات الصليبيين في بلاد الشام، حيث قامت القوات الفاطمية بالتحرك في البر والبحر لمهاجمة معاقل الصليبيين، ونجحوا في تحقيق النصر عليهم، فعاد الفاطميون إلى مصر وكانوا يحملون العديد من الأسرى، بما في ذلك أخو حاكم جزيرة قبرص، واستقبل طلائع بن رزيك أخو حاكم جزيرة قبرص بحفاوة وتكريم عند وصولهم إلى مصر، فقرر طلائع بن رزيك إرساله إلى ملك القسطنطينية.[5]

بسبب تكرار الهجمات التي شنها طلائع بن رزيك على الصليبيين في الشام، اضطروا للاتصال به مرة أخرى، وأرسلوا رسولاً إليه في شهر ربيع الأول من عام 554 هـ/1159 م،

---

[1]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص353. ذكر المقريزي أن الأمير محمود المسترشدي قد عاد من مصر، وهو محمل بالهدايا التي تبلغ قيمتها ثلاثين ألف دينار نقداً، وسبعون ألف دينار عيناً، تقوية لنور الدين على مهاجمة الصليبيين. اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج1، ص334.

[2]– المقريزي، المصدر نفسه، ج3، ص233.

[3]– وادي يقع بين بيت المقدس وأرض الحجاز، وينسب إلى سيدنا موسى –عليه السلام–. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص346.

[4]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص233.

[5]– المصدر نفسه، ج3، ص234.

يحملون هدية ويهدفون إلى طلب وقف العدوان والتهدئة، فرفض الوزير الفاطمي هذا الاقتراح واستمر في سياسته المؤيدة لنور الدين محمود ومعاداة الصليبيين، وعاد محمود المسترشدي ومعه الأمير عز الدين أبو الفضل غسان بن محمد بن جلب ارغب الآمري إلى مصر، حيث تم تعيينهما من قِبل نور الدين لتوحيد الجهود في مواجهة التهديد الصليبي في البر والبحر، فقدموا طلبًا من نور الدين للوزير الفاطمي يطلبون فيه إرسال سرية فاطمية لمهاجمة الصليبيين في غزة بهدف تشغيل قوات الصليبيين، ليتمكن لنور الدين مهاجمة ممتلكاتهم في شمال بلاد الشام، وأجاب طلائع بن رزيك على هذا الطلب، وأرسل ما طُلب منه، وعاد جيشه منتصرًا.[1]

نجح الفاطميون في عهد الوزير طلائع بن رزيك في توجيه ضربات قوية للصليبيين في بلاد الشام، واستخدموا استراتيجية الحرب بالاستنزاف لتضييق الصليبيين ومنعهم من التعافي وشن هجمات على مصر، حيث تم تحقيق تقدم كبير في هذا الصدد، وقد تسببت الغارات في خسائر كبيرة للصليبيين في الشام، ومع سقوط عسقلان فقد الفاطميون جميع ممتلكاتهم في الشام، ولم تكن الغارات التي شنوها تهدف إلى استعادة تلك الممتلكات، فكانت الغارات أكثر تركيزًا على إبقاء الصليبيين في حالة ضعف وعدم منحهم فرصة للهجوم على مصر تأثرت استقرارية مصر الداخلية وعدم استقرارها في الوقت الحالي بما حدا بالفاطميين عن تحقيق أهداف أكبر في بلاد الشام.[2]

أراد طلائع بن رزيك تحقيق نتائج ملموسة من خلال هجماته على أملاك الصليبيين في بلاد الشام، في هذه المرة، فقرر طلائع بن رزيك شخصياً المشاركة في المهاجمة في عام 554هـ / 1159 م، وأنفق مبالغ طائلة تقدر بحوالي 200 ألف دينار لتنفيذ ذلك، تمكن من

[1]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص236.

[2]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص197–198.

الوصول إلى مدينة بلبيس،[1] لكنه اضطر للعودة إلى القاهرة بسبب حدوث اضطرابات داخلية، نتيجة لهذه الظروف تم توقيع صلح بين طلائع بن رزيك والصليبيين، حيث تعهد بدفع ثلاثة وثلاثين ألف دينار سنوياً للصليبيين.[2]

تبين أن التعاون بين نور الدين محمود والوزير الفاطمي طلائع بن رزيك قد لعب دورًا هامًا في تحقيق سلسلة من الانتصارات على الصليبيين في مناطق شمال الشام وجنوبه، بالإضافة إلى الغارات التي نفذها الفاطميون، كان نور الدين ينفذ هجمات متكررة على أراضي الصليبيين في المناطق المجاورة لنفوذه،[3] وكان هناك تحدي كبير يواجه طموح الوزير الفاطمي، وهو عدم استقرار مصر واستمرار الاضطرابات فيها نتيجة الصراعات المستمرة بين الوزير وأمراء الأقاليم، وهذا كان يحدث في ظل ضعف الخليفة الفاطمي.

استمر طلائع بن رزيك في استبداد شؤون مصر وخليفتها الذي لم يكن لديه سلطة أو قرار، ولا يعتبر كلمته ذات أهمية،[4] فكان يحتقر أفراد القصر الفاطمي بشكل خاص والشعب المصري بشكل عام، يعكس ذلك قوله: "وما علموا أنني كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم"، عندما شاهد الضجة والفرحة التي انتشرت بتولي العاضد[5] الخلافة بعد وفاة الفائز في عام 555 هـ / 1160 م، ومن خلال ذلك استقر اسم العاضد والصالح معنى[6]، بالعكس كان طلائع بن رزيك يسعى للسيطرة على الخليفة الجديد، حيث زوجه ابنته وأصبح وزيره وصهره، كانت نية

[1]– ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج2، ص 439–440.

[2]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج3، ص259.

[3]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص340–341. الذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج38، ص16–17.

[4]– المقريزي، المصدر نفسه، ج3، ص239.

[5]– العاضد: أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم، ولد سنة 546هـ/1151م، وتوفي سنة 567هـ/1171م. أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، ج3، ص109–111

[6]– المقريزي، المصدر نفسه، ج3، ص244.

طلائع من هذا الزواج هي أن يحصل على ولد من العاضد الفاطمي لكي تتواجد الخلافة والملك في ذرية بني رزيك،[1] ولكن لم يتحقق هذا الهدف، حيث أن سياساته في اضطهاد أفراد البيت الفاطمي جعلتهم يشعرون بالاستياء منه ويحاكون المؤامرات ضده، وقد تمكنوا في النهاية من قتله في رمضان 556 هـ / سبتمبر 1161 م،[2] وكانت آخر كلماته عند وفاته تعبيرًا عن ندمه وأسفه لعدم عمله على غزو بيت المقدس وتطهيره من الصليبيين، وعدم القضاء على الدعوة الفاطمية في مصر واستعادة الدعوة العباسية، كما حذر ابنه من التورط مع شاور[3] حاكم الصعيد وعدم إهانته، لأنه لن يكون آمنًا من خيانته وتمرده عليه.[4]

كانت رؤية طلائع بن رزيك بعيدة المدى وفهمه للسياسة واضحًا، إذ كان يدرك أن وجود الفاطميين في مصر واستمرارهم في الحكم كان له تأثير سلبي كبير على البلاد، ولذا، رأى أن العودة إلى الخلافة العباسية هي الحل الأمثل لتحرير بلاد الشام من هيمنة الصليبيين الغازيين.[5]

تم تعيين طلائع بن رُزيك[6] وزيرًا بعد مقتل والده الصالح، حيث أوصى الصالح بتوليه هذا

---

[1]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج4، ص246.

[2]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص34. ذكر بعض المؤرخين أن من دبر قتل طلائع هي عمة العاضد الفاطمي. أنظر المقريزي، المصدر نفسه، ج3، ص246.

[3]– شاور: أمير الجيوش أبو شجاع شاور بن مُجير بن نزار من قبيلة ربيعة العربية، ولاه الصالح بن رزيك الصعيد الأعلى، ثم ندم على توليته، تولى شاور الوازرة في شهر صفر سنة 558هـ/ يناير 1163م بعد أن قتل العادل بن الصالح بن رزيك، وقتل شاور في ربيع الأول سنة 564هـ/ ديسمبر 1168م. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص439–443.

[4]– أبي بكر بن عبد الله بن أبيك، كنز الدرر وجامع الغرر "الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب"، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، د.د ، د.ط، القاهرة، 1972م، ج7، ص19.

[5]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص199.

[6]– طلائع بن رزيك: محي الدين رزيك بن طلائع بن رزيك، ويكنى بأبي شجاع، تولى الوازرة في اليوم التالي لمقتل أبيه، ولقب بالعادل الناصر. ابن خلكان، المصدر نفسه ، ج2، ص528.

المنصب، قام رُزيك بمتابعة نهج والده في مقاومة الصليبيين، وعمل على صد هجماتهم على أراضي الحوف.[1]

عمل رُزيك على تحسين سياسة والده من خلال إصلاحات داخلية، حيث قام بمسامحة الناس عما عليهم من ديون ثابتة في الدواوين، وخفض الرسوم الظالمة بشكل كبير، قام أيضًا بالتزامن مع ذلك بأداء واجباته كأمير للحرمين بشكل جيد، ورغم ذلك كان هدف رُزيك من وراء ذلك هو الحصول على تأييد رجال القصر وجميع المصريين بشكل عام، نظرًا لأن سياسة والده قد أساءت إلى حد ما معاملتهم، مما أدى إلى استياءهم وتآمرهم على قتله.[2]

حاول المقربون من الوزير العادل رُزيك تحسين وضعه عن طريق إعفائه من ولاية قوص[3] دون منافسة، فاستجاب العادل لهذا الطلب وأقال رُزيك من منصبه في أواخر عام 557 هـ / 1162 م، على الرغم من وصية والده بعدم إقالته، تم تعيين الأمير نصر الدين شيخ الدولة ابن الرفعة بدلاً منه واليًا على قوص، واعتقد أن ذلك سيسمح له بالسيطرة على شؤون مصر بأكملها.[4]

---

[1]– عمارة اليمني أبو محمد عمارة بن أبي الحسن بن علي بن زيدان بن أحمد، النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، تص: هرتويغ درنبرغ، مطبع مرسو، د.ط ، شالون، 1897م، ص54. الحوف: هي منطقة تقع شرق مصر، وتقسم إلى حوفين: الحوف الشرقي والحوف الغربي، وهما متصلان، أول الحوف الشرقي من جهة الشام وآخر الغربي قرب دمياط، ويشتملان على بُلدان وقرى كثيرة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص322.

[2]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص253.

[3]– قوص: مدينة كبيرة، عظيمة واسعة، وتعد قصبة صعيد مصر، وهي محط التجار القادمين من عدن، وأكثرهم من هذه المدينة، وهي شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص 413.

[4]– أمجد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص200.

الفـــــصل الثالث:

أثر العدوان الصليبي في بلاد الشام على العلاقات الإقليمية

- ✓ **المبحث الأول:** العلاقات الفاطمية العباسية
- ✓ **المبحث الثاني:** علاقة الفاطميين بالصليبيين.
- ✓ **المبحث الثالث:** العلاقات الفاطمية السلجوقية.

المبحث الأول: العلاقات الفاطمية العباسية

اتسمت العلاقة بين الفاطميين والعباسيين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري بالصراع السياسي والعسكري والمذهبي فبرز تهديد أبي الحارث البساسيري[1] لدار الخلافة في بغداد ودعوته للخليفة الفاطمي المستنصر بالله على منابر بغداد وذلك في سنة 450هـ/1058م، الامر الذي عجل بدخول السلاجقة لبغداد حيث استعان الخليفة القائم بأمر الله بالسلاجقة الذي تمكنوا من القضاء على حركة البساسيري سنة 451هـ / 1059م وهذا يسر لهم السيطرة على الخلافة العباسية.[2]

أما الدولة العباسية فقد حاولت استرجاع نفوذها على مصر انطلاقا من سياستها التحريضية ودعمها المتواصل للحركات المناوئة والناقمة على الدولة الفاطمية هذا من جهة، ومن جهة استغلت تلك الدعاوي الباطلة للشيعة في نسبهم لفاطمة رضي الله عنها فراحت تصدر محاضر رسمية تنكر نسب الفاطميين والقدح فيهم، كما حدث في محاضر الطعن التي حررتها الدولة العباسية عامي 402هـ/1005م و444هـ /1052م من جهة أخرى، وبالنسبة لبلاد الشام فإنها كانت تضم قوى سياسية كل منها تسعى لتحقيق استقلالها بعيداً عن النفوذ العباسي في بغداد او الفاطمي في مصر على غرار بني مرداس وآل الجراح ، والحمدانيين ، مما ترتب عنه تلك الحملات المسعورة التي شنها الفاطميون على بني مرداس وغيرهم ، بغرض القضاء عليهم.[3]

في خضم الصراع الجاري في المنطقة الشامية بين الفاطميين وبني مرداس وبني الجراح، وصل السلاجقة إلى تلك المناطق وتمكنوا من السيطرة عليها، وكانوا قوة قوية ومعروفة بتاريخهم الحربي،

---

[1]– ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ص347.

[2]– ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ص54.

[3]– علي فيصل عبد العزيز العامري، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب–قسم التاريخ–، جامعة الكوفة، 2007م. عرب دعكور، الدولة الفاطمية تاريخها السياسي والحضاري، دار المواسم، ط1، د.ب، 2004م، ص128.

مما سمح لهم بالتوسع في آسيا الصغرى، حققوا انتصارًا عظيمًا في معركة ملاذ كرد خلال عهد السلطان الب أرسلان البيزنطيين في سنة 463هـ/ 1070م، بعد ذلك توالت الحملات التي أرسلها السلاجقة إلى الشام، حيث استعاد السلطان دمشق من يد الفاطميين في سنة 464هـ / 1071م. ومن ثم، قاد قائد السلاجقة أتسز بن أوق الخوارزمي حملة إلى فلسطين، حيث استولى على الرملة وبيت المقدس وطبرية ويافا في سنة 471هـ / 1078م، أُطيحت الدعوة الفاطمية في تلك المناطق، وأقام السلاجقة خطبة للخليفة العباسي المقتدي بالله فيها.[1]

تأثرت دولة الخلافة بشكل كبير بالتأثيرات السلبية التي ترتبت عن الدولتين الشيعيتين البويهية والفاطمية، فقد أدى البويهيون إلى ضعف الخلافة وجعلوا دور الخليفة باهتًا، وقاموا بنشر المذهب الشيعي واستعانوا بالكتاب المنافقين لتشويه التاريخ الإسلامي، وخاصة تاريخ الدولة الأموية، أما الفاطميون، فسيطروا على المغرب لمدة ستة عقود من الزمن (358- 567هـ/969 - 1171م)، وحاولوا نشر المذهب الإسماعيلي الباطني بكافة الوسائل المتاحة، واضطهدوا أهل السنة بشكل كبير، وقد كانوا هم الذين سهموا في تمهيد الطريق أمام الصليبيين للسيطرة على المنطقة العربية الشرقية والعالم الإسلامي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.[2]

كان من المستحيل تغيير هذا الواقع المؤسف الذي سمح للصليبيين بالاستفادة والاستفادة منه، فقد تعزز هذا الواقع بوجود القوى التي تحافظ على الضعف والصراعات الداخلية، وتركز على المصالح الذاتية بدلاً من مصلحة الإسلام والمسلمين.[3]

لعبت الجماعات الباطنية والقرمطية دورًا خطيرًا في التآمر والتعاون مع الصليبيين لإضعاف المسلمين، وكان لديهم كراهية شديدة تجاههم، ونجح صلاح الدين في القضاء على الدولة الفاطمية

[1]- خالد كربيي، موقف الدولة الفاطمية من الحروب الصليبية، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2022م، مج10، ع2، ص414.

[2]- عبد الحليم عويس، الحملات في أواخر الخلافة العباسية، رابطة العالم الإسلامي، السعودية، 2006م، ص8.

[3]-المرجع نفسه، ص8.

الإسماعيلية، وهناك مؤامرات عديدة وقعت، بما في ذلك مؤامرة الإسماعيلية النزارية في حلب بقيادة رائد بن سنان في عام 571 هـ، التي كانت تستهدف اغتيال صلاح الدين وأئمة آخرين. وقبل هذه المحاولة، كان هناك مؤامرة دولية كبرى لاغتياله في عام 570 هـ، بقيادة الشاعر الباطني عمارة اليمني، بمساعدة الحشاشين في بلاد الشام والقوات الصليبية. ولكن تم اكتشاف خيوط المؤامرة وتم إعدام قادتها[1].

1-استعانة الدولة الفاطمية بالعباسيين ضد الصليبيين:

كانت مصر في فترة الثورات الداخلية تشهد حالة فوضى شديدة، ومن أجل استعادة الاستقرار، تم تعيين طلائع بن زريك وزيرًا للعاصمة، وفي شهر رمضان من عام 556 هـ (1161 م)، تعرض طلائع بن زريك الأرمني، وهو وزير العاصمة العلوي، وابنه زريك بن طلائع للقتل، وحصل طلائع بن زريك على لقب "العادل"، وكان كل من نور الدين محمود وملك بيت المقدس عموري ينظرون إلى مصر بعين خاصة ويرغبون في ضمها إلى أراضيهم.[2]

قام شاور في شهر صفر من العام 558 هـ بانقلاب على الحاكم العاضد لدين الله العلوي، وكان شاور يخدم طلائع بن زريك ويتولى منصب صعيد الوزارة، وهو أعلى المناصب، وعندما تعرض الحاكم الصالح للجرح، وجه طلائع بن زريك ابنه العادل بألا يغير في شاور شيئًا لأنه كان يعرف قوته، وبعد وفاة الصالح، تولى العادل بن صالح منصب الوزارة، وأمر بإقالة شاور من منصبه في رد فعل قوي، فجمع شاور أنصاره وسار نحو القاهرة للقاء العادل، ولكن العادل هرب، وتبعه شاور وقتله، وبعد مقتله انقرضت دولة بني رزيك واستقر شاور في منصب الوزارة[3]

[1]-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص8.

[2]-ابن المقفع، تاريخ مصر، تح: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولى، ط1، القاهرة، 2006م، ج3، ص1197.

[3]- إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، ط1، مصر، 1894م، ج2، ص149.

أ-استعانة شاور بنور الدين محمود:

بعد تولي العادل بن صالح منصب الوزارة، ساءت سمعته بسبب أفعاله السيئة، مما أدى إلى انتفاضة والي الصعيد ضرغام ضده وتعرضه للهزيمة، نتيجة لذلك قرر شاور مغادرة مصر والتوجه إلى دمشق، حيث انضم إلى نور الدين محمود لاستعادة منصب الوزارة من ضرغام، فقدم شاور وعدًا لنور الدين محمود بمنحه ثلث حصة مصر في التجارة إذا نجح في التغلب على ضرغام واستعادة الوزارة منه.[1]

تردد نور الدين في إرسال حملة عسكرية مع شاور إلى مصر، خوفًا من التورط في هذا الصراع، خاصة وأنه كان مشغولًا بمواجهة أعداء قويين في المنطقة الشامية، لذلك استخار نور الدين لله تعالى واستقام بقراره، وقرر توجيه حملته العسكرية إلى مصر بدعوة أسد الدين شيركوه أحد أكبر قادته العسكريين، وعندما علم ضرغام بحملة نور الدين، استنجد بالملك عموري الأول، الذي استلم الحكم بعد بلدوين الثالث[2] في مملكة بيت المقدس.[3]

استجبت لدعوة ضرغام من الصليبيين في مصر، وهذه الفرصة توفرت للتدخل المباشر، [4]فقاد شاور وشيركوه قواتهما إلى القاهرة، وأرسلوا فريقًا لتعقب ضرغام، وتم العثور عليه في مكان السيدة نفيسة، فتم قتله في تلك اللحظة يوم الجمعة في ليلتين من جمادى الآخرة، وتم تعليق رأسه على رمح في القاهرة، وتركت جثته ملقاة لثلاثة أيام حتى أكلتها الكلاب، استمرت فترة حكم ضرغام

---

[1]- ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، د.ط، القاهرة، 1963م، ص121.

[2]- بلدوين الثالث: تولى الحكم بعد وفاة والده فولك الأنجوي كان عمره آنذاك 13سنة.

أنظر: وليام الصوري، المصدر السابق، ج3، ص230.

[3]- ابن الأثير، التاريخ الباهر، المصدر نفسه، ص121.

[4]- المقريزي، اتعاظ الحنفا ، المصدر السابق، ج3، ص266.

لمدة تسعة أشهر،[1]واستولى شاور في مستهل رجب عام 559 هـ / 1164م، على الأمور واستعاد الوزارة، نجح في تحقيق ما يرغب به وحقق أهدافه.[2]

استولى شاور على الوزارة، فبدأ في إساءة معاملة الناس ونسي وعوده السابقة لنور الدين، وظهرت من شاور أعمال الغدر والخيانة تجاه أسد الدين شيركوه، فتم إرسال رسالة إلى شيركوه من قبل شاور يطلب فيها العودة إلى الشام، لكن شيركوه رفض ذلك وطالب بإرسال ما تم الاتفاق عليه بينه وبين نور الدين محمود سابقًا، ولكن لم يستجب شاور لهذا الطلب، عندما علم أسد الدين بإصرار شاور على الغدر والخيانة، قرر إرسال نوابه إلى مدينة بلبيس،[3] حيث سلموا المدينة وحصنوا فيها، في هذه اللحظة استنجد شاور بالصليبيين وطلب مساعدتهم، وسط استياء كبير من الشعب المصري. [4]

2-استعانة الفاطميين بالصليبيين ضد الخلافة العباسية:

أ-استعانة شاور بالصليبيين:

وفيما ذُكر سابقًا، عندما خان شاور نور الدين محمود ولم يفِ بوعوده، لم يجد سوى اللجوء إلى الصليبيين، حيث طلب منهم النجدة والمساعدة في هزيمة جيوش نور الدين محمود وهددهم به، فاتخذ شاور خطوة تعد خيانة، حيث أنه كان يمثل دولة سنية وكان يتبع عقيدة مختلفة، وبالتالي، لجوء شاور هذه المرة إلى الملك عموري كان يعتبر خيانة كاملة، حيث لم يطلب مساعدة حاكم مسلم، بل لجأ إلى أعداء المسلمين وكشف لهم نقاط ضعف بلاده.[5]

---

[1]-النويري، المصدر السابق، ج28، ص219.

[2]- ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص466.

[3] - بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام فتحت سنة 18هـ على يد عمرو بن العاص يسكنها عبس بن بغيض

أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 479.

[4]- ابن تغري، المصدر السابق، ج5، ص347.

[5]- ابن الأثير، الكامل ، المصدر نفسه، ج9، ص466. ابن تغري، المصدر نفسه، ج5، ص348.

قرر الملك عموري الأول الدخول في مفاوضات مع شيركوه لتحقيق اتفاق ينص على انسحابهما من مصر، تلقى عموري أنباء سيئة في بلاد الشام حول تعرض ممتلكاته للضغط من قبل نور الدين. فقد أدرك أنه لن يستفيد كثيرًا من حملته في مصر، وأفضل العودة للدفاع عن ممتلكاته في الشام، وبما أن شيركوه ما زال يتمتع بالحصانة داخل أسوار بلبيس، فإن هذا الوضع يجعل الهدنة ضرورية، حيث ينسحبون من مصر ويتركونها لأصحابها، وبهذا ينتهي النزاع ويتحقق السلام.[1]

ب-حملة نور الدين الثانية على مصر:

عندما ذهب أسد الدين إلى مصر استفاد بشكل كبير من هذه الزيارة، وأدرك ما في مصر وأدرك ضرورة الاستيلاء عليها لتحقيق السيطرة على الصليبيين، بدأ في التخفيف من أهمية مصر أمام نور الدين وطلب منه الإذن لاحتلالها، فكان يخشى من تقسيم قواته بين مصر والشام، ولكنه في الوقت نفسه كان يخشى أن تقع مصر في أيدي الصليبيين وتزيد قوتهم بها، وبالتالي وافق نور الدين على طلبه وأذن له بتنفيذ حملة ثانية على مصر.[2]

تصاعدت القتال بين نور الدين والصليبيين في مصر، وأرسل نور الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين للمشاركة في الحرب، وفي عام 1166م توجه الجيش الصليبي بقيادة عموري إلى مصر، جرت العديد من المعارك بما في ذلك معركة البابين بالقرب من الأشمونيين، استمرت لثلاثة أيام متواصلة وخلالها قتل وأسر العديد من الأعداء من الفاطميين والصليبيين، تمكن أسد الدين شيركوه من أسر سبعين أسيرًا من الصليبيين، وكان قريبًا من أسر عموري الصليبي، وبعد

[1] سحنّي بغداد، دور الدولة الفاطمية في التصدي للعدوان الصليبي على الشام ومصر 488 -567هـ / 1095 -1171م)، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ مرقونة ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، 2009-2010م، ص107.

[2]- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص74.

تلك الهزيمة اضطر شاور وعموري للفرار إلى القاهرة، حيث هزمهم جيش أسد الدين شيركوه في تلك المعركة، لو قام أسد الدين بمطاردتهم فوراً، لكان سيسيطر على القاهرة.[1]

تقدمت القوات الشامية بعد ذلك شمالًا نحو الإسكندرية ودخلتها دون مقاومة تذكر، وعمل قائد الجيش شيركوه على استكمال فتح البلاد المصرية، بما في ذلك الفسطاط والقاهرة، ثم هاجم الصليبيون الإسكندرية وحاصروها، وفي هذا الوقت قرر أسد الدين صلاح الدين العودة إلى الصعيد لاستدراج الصليبيين وبعدهم عن القاهرة والإسكندرية.[2]

حاول شيركوه التحالف مع شاور ضد الصليبيين ووعده بأنه عند طردهم من مصر، سينسحب هو وقواته ويعود إلى الشام، ومع ذلك رفض شاور هذا الاقتراح ولم يستجب لدعوته، بدلاً من ذلك قام شاور بإرسال رسول لينقل مضمون الرسالة إلى عموري، نجح شاور والصليبيين في إعادة تنظيم قواتهم لحصار الإسكندرية، وانتهت الأمور بتوقيع اتفاقية صلح بين الصليبيين والمصريين من جهة وشيركوه من جهة أخرى، واتفقوا على البنود التالية:

1-أن يأخذ شيركوه خمسين ألف دينار عدا ما أخذه من البلاد من مال.[3]

2-أن يدفع شاور إلى شيركوه جميع ما أنفق في هذه الجولة.[4]

3-ألا يقيم الصليبيون بمصر وأن لا يتملكوا منها قرية واحدة.[5]

4-يأخذ الصليبيون ثلاثين ألف دينار تعويضا عن خسائرهم. [6]

5-يقوم شيركوه بإطلاق صلاح الأسرى الصليبيين.[7]

---

[1]- المقريزي، اتعاظ الحنفا ، المصدر السابق، ج3، ص284.ابن تغري، المصدر السابق، ص332.

[2]- المقريزي، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه، ج3، ص284

[3]- ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ص349.

[4]- المقريزي، المصدر نفسه، ج3، ص285.

[5]- ابن العديم، المصدر نفسه، ص349.

[6]- المقريزي، المصدر نفسه، ج3، ص285.

[7]-المصدر نفسه، ص285.

ج- حملة نور الدين محمود الثالثة على مصر:

أما ملك بيت المقدس عموري، فلم يكن مخلصًا في نواياه في الهدنة السابقة، إذ لم يقم بسحب جيشه بالكامل من مصر، بدلاً من ذلك كان ينوي الاستيلاء على مصر، وبمجرد انسحاب القوات النورية، استولى عليها وجذبهم إلى هذا الانتصار، وبعدها تقدموا نحو الفسطاط.[1]

أوصى شاور الخليفة بحرق مدينة الفسطاط، خوفًا من أن يسيطر الفرنج عليها، فأذن لهم بحرق المدينة، واستمرت النيران تلتهمها لمدة تقارب الأربع والخمسين يومًا.[2]

قرر الخليفة العاضد أن يستغيث بنور الدين محمود، فأرسل إليه خصلات من شعر نسائه وبناته، وقال له: "أرجوك، أنقذني وأنقذ نسائي من قبضة الفرنج".[3]

ثم قدم عرضًا لنور الدين، وهو أن يتدخل لإنقاذ البلاد من الصليبيين بمقابل هذه النجدة:

1.منحه ثلث بلاد مصر.

2.منح قادته الاقطاعات.

3.يسمح لشيركوه بأن يقيم في مصر. [4]

فأرسل نور الدين أسد الدين ومعو العساكر فلما دخلوها خاف منهم الفرنج وانسحبوا دون قتال.[5]

---

[1]- العروسي المطوي، المرجع السابق، ص75.

[2]- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية، ط1، د.ب، 1964م، ج2 ،ص4.

[3]- محمد بن أحمد بن الياس الحنفي، المختار في بدائع الزهور، تح: محمد مصطفى ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ،1975م، ج1، ص232.

[4]- ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص465.

[5]-الحنفي، المصدر نفسه، ج1، ص232.

بدأ شاور يشعر بالاستياء من وجود أسد الدين في مصر، إذ رأى أنه ينافسه في السعي للنفوذ، خاصة بعد أن لاحظ أن الخليفة العاضد يظهر اهتمامًا بنور الدين ويتعاون معه في مؤامرة ضده، وتم اغتيال شاور في عام 564هـ/1169م.[1]

بعد مقتل شاور، تولى أسد الدين منصب وزير الخلافة الفاطمية في مصر، وبذلك تحققت طموحات نور الدين محمود في دمج مصر ضمن بلاد الشام.

[1]– النويري، المصدر السابق، ج28، ص225–226.

المبحث الثاني: علاقة الفاطميين بالصليبيين

اتبعت السياسة الفاطمية اتجاه القوى الصليبية الغازية ببلاد الشام بمراحل ثلاث عرفت كل مرحلة منها إنجازات وتطورات وتأثرت بعوامل:

1-مرحلة التقارب والاستفادة:

قرر الحكام الفاطميون في مصر التخطيط والاستثمار في حقد الصليبيين ونزعتهم العدائية تجاه المسلمين، حاول الفاطميون توجيه الصليبيين لمهاجمة السلاجقة والسنيين بشكل عام، فقدم الإمبراطور البيزنطي اليكسوس نصيحة للفاطميين بالتوصل إلى اتفاق معهم، حيث كان يعتبر الفاطميين أعداء للأتراك ويتميزون بالتسامح تجاه المسيحيين، وفي أبريل عام 1098م أرسل رجل من مصر القوية وزير الخليفة الفاطمي المستعلي بالله سفارة مصرية إلى معسكر الصليبيين المحاصر في مدينة أنطاكيا، وكانت السفارة تحمل هدايا ثمينة، فقدمت السفارة المصرية للصليبيين اقتراحًا يقضي بتقسيم أملاك الإمبراطورية السلجوقية، حيث يأخذ الصليبيون بلاد الشام ويأخذ مصر جنوبها (فلسطين فقط)، فوافق الصليبيون على هذا الاتفاق ورأوا فيه فرصة لتدبير المؤامرات بين القوى الإسلامية وتحقيق مكاسبهم من ذلك.[1]

تعمد الصليبيون إخفاء نيتهم الحقيقية من الفاطميين ولم يكشفوا عن خططهم للهجوم على القدس التي كانت جزءًا من الأراضي الفاطمية في ذلك الوقت، تسببت السفارة الفاطمية في إضفاء شرعية سياسية على الصليبيين في المنطقة الهامة من المشرق الإسلامي،[2] فحرص الصليبيون على تضليل الفاطميين من خلال نشر الطمأنينة وتقديم صورة غير دقيقة لمشروعهم

[1]- ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج2، ص356.

[2]- عثمان عبد الحميد عشري، الاسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، المكتبة التاريخية، القاهرة، 1983م، ص137.

السياسي والعسكري في بلاد الشام. فقاموا بإرسال رسائل مطمئنة إلى ملوك دمشق وحلب، وعندما انتهوا من ذلك، تمكنوا من مواجهة القوى الإسلامية كلٌ على حدة.[1]

يبدو أن الصليبيين هم من دبروا المؤامرة لجعل الفاطميين يهاجمون القدس ويقضوا على القوة السلجوقية المتماسكة، بالتالي عندما وصل الصليبيون إلى القدس وجدوا القوات الفاطمية منهكة بالفعل، دمروا السلاجقة في القدس بدلاً من أن يتحدوا معهم لمواجهة الصليبيين، كان على الفاطميين أن يدافعوا عن المدينة، لكن قواتهم لم تكن كافية، لذلك عرض الخليفة الفاطمي على الصليبيين التوصل إلى صلح، ولكن جود فري وبوهيموند طلبا تسليمًا بلا شروط، وبعد ذلك اقتحما المدينة.[2]

أشار المؤرخ الكبير ابن الأثير إلى ذلك باندهاشه، حيث لم يستوعب أن حكام مصر الفاطميين قاموا بالتوافق مع أعدائهم في الدين ضد إخوانهم المسلمين، على الرغم من اختلافهم المذهبي، وفي حديثه عن الحادثة، قال: "يقال إن أصحاب مصر من العلويين عندما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام حتى وصلت إلى غزة، ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم من دخول الأقصى وحصرها، فخافوا وأرسلوا دعوة للفرنجة للخروج إلى الشام والاستيلاء عليها، بهدف أن يكونوا بينهم وبين المسلمين."[3]

كان ملوك وأمراء أوروبا قبل بدء حملاتهم الصليبية، يدرسون ويستكشفون الشرق الإسلامي ويتعرفون على أحواله، بهدف الاستعداد قبل خوض أي حرب ضد المسلمين، قاموا بالاستفادة من كل القوى التي يمكن أن تساعدهم في مشروعهم الصليبي في الشرق الإسلامي واستغلالها قدر المستطاع، قام عدد من زعماء الحملة الصليبية الأولى بزيارة الإسكندرية في عام 1083م

[1]– عثمان عبد الحميد عشري، المرجع السابق، ص137.

[2]– محمد سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص33.

[3]– ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، مج8، ص13–14.

(475هـ)، ورحب بهم الفاطميون بحفاوة، ثم ركبوا البحر ووصلوا إلى يافا، ثم خرجوا منها إلى القدس، واستغرقت رحلتهم حوالي سنتين.[1]

وبالفعل يشير ذلك إلى أن الغرض الرئيسي من هذه الرحلة كان استطلاعًا وتجسسًا لمعرفة أحوال القوى الإسلامية في بلاد الشام، ويدعم ذلك أيضًا أن رئيس الوفد الذي زار القدس كان هو الذي قاد إحدى الجيوش الصليبية التي انطلقت لاحقًا إلى بيت المقدس، وتولى منصب أول أمير لبيت المقدس من الصليبيين، وقيام الوفد بزيارة القدس بعد دعوة البابا غريغوري السابع لمساعدة الإمبراطورية البيزنطية في حربها ضد السلاجقة، مما يؤكد تورط الفاطميين وسلبية موقفهم تجاه العدوان الصليبي[2].

إن هذا الموقف السلبي للفاطميين من الحملة الصليبية الأولى يثير استغراب المؤرخين المسلمين، حيث يظهرون استعجابهم لعدم مشاركة الدولة الفاطمية والقوى الإسلامية الأخرى في الدفاع عن الأراضي الإسلامية، حيث يستغرب المؤرخ المصري ابن تغري موقف الفاطميين وعدم مشاركتهم في القوات الإسلامية التي تصدت للصليبيين في أنطاكية. وقد ذكر أنهم لم يتحركوا لإخراج جيشهم،[3] على الرغم من قدرتهم على التجهيز بالمال والجنود، بينما خرجت قوات المسلمين في العراق والشام لمواجهة تقدم الصليبيين،[4] وأشار إلى أن قوات مصر لم تتجهز للمشاركة في هذه الحملة.[5]

نتيجة لتقاعس الخلافة الفاطمية، تمكن الصليبيون من التقدم جنوبًا حتى استولوا على بيت المقدس في عام 492هـ/1099م، مما أتاح لهم إنشاء مملكة صليبية كبيرة سيطروا فيها على

[1]– مصطفى الكناني، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى، المرجع السابق، ص85.

[2]– إلياس شاهين، الصليبيون في الشرق، د.د، د.ب، 1986م، ص37.

[3]– ابن تغري، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج5، ص147.

[4]– ابن الجوزي، المنتظم ، المصدر السابق، ج17، ص43.

[5]– ابن تغري، المصدر نفسه، ج5، ص148.

معظم الموانئ في فلسطين،، فاستيلاء الصليبيين على بيت المقدس أحبط أهداف الخلافة الفاطمية وأهدافها المستترة، لذلك كان على الخلافة الفاطمية في مصر أن تعيد تقييم موقفها من العدوان الصليبي الذي ساندته في السابق، حيث ظنت أنه سيكون محدودًا بشمال بلاد الشام وأسيا الصغرى، وأنه سيترك لهم السلطة في جنوب تلك المناطق.[1]

2-مرحلة التصادم والمواجهة:

تم التخلي عن اعتبار الصليبيين حلفاء محتملين ضد الخصم السياسي والمذهب السني في تطور العلاقات بين الفاطميين والصليبيين، فكانت حركة الفاطميين لمواجهة الصليبيين بطيئة ومترددة في البداية، وعندما علم الأمير الفاطمي بنوايا الصليبيين في الهجوم على بيت المقدس، فقام بتجميع رجاله وخرج من مصر على رأس جيش لمنع الصليبيين، وقد وصل إلى عسقلان بعد عشرين يومًا من انتزاع القدس من الصليبيين،[2] ثم قام بمراسلتهم وانتقادهم لخرقهم الاتفاق وطلب منهم سرعة المغادرة من الأراضي المصرية في فلسطين، لكن الرد الذي تلقاه الأمير الفاطمي كان غامضًا وغير ملتزم بالتفاهمات السابقة، وحتى بعد وصوله إلى عسقلان لم يبدأ في شن الهجوم، حيث تماطل وانتظر وصول الإمدادات، مما فسح المجال أمام الصليبيين للتحضير والسيطرة على الأمور.[3]

وفي رمضان 492 هـ/ 1099م، هاجم الصليبيون الجيش الفاطمي في عسقلان بقواتهم العظيمة، وتعرض الجيش الفاطمي للهزيمة، تشتتت قوات الفاطميين وفقدوا القدرة على الدفاع

[1]- خالد كريبي، المرجع السابق، ص421.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة التاريخية، مصر، 1969م، ص208.

[3]- المرجع نفسه، ص208.

عن المدينة، بعدها قرر الأمير الفاطمي العودة إلى مصر، تاركًا المدينة وأهلها بدون حماية من قوات الصليبيين.[1]

بعد سقوط بيت المقدس وبعض المدن الساحلية في يد الصليبيين، قام الفاطميون بإرسال حملات عسكرية سريعة، فأرسل الوزير الأفضل حملة أولى في رجب عام 494 هـ / 1101م، بقيادة سعد الدولة المعروف بالطواشي–حاكم بيروت– كان هدف الحملة استعادة بيت المقدس، وتجمعت القوات في عسقلان للحصول على إمدادات، فقضى الجيش الفاطمي عدة أشهر دون أي عمل عسكري، مما أتاح للصليبيين الوقت الكافي للتحضير ووضع الخطط العسكرية، وبعد وصول الإمدادات، تحرك سعد الدولة بقواته نحو منطقة الرملة لتهديد يافا وبيت المقدس، ولكن الصليبيين استطاعوا تنظيم صفوفهم وتحقيق النصر في معركة بين الرملة ويافا،[2] وقتل عدد كبير من المسلمين وفر الباقون إلى عسقلان بعد سقوط قائد الحملة سعد الدولة، وواصل الصليبيون مطاردة المسلمين حتى أسوار عسقلان، وتركوا وراءهم كل ما كان بحوزتهم من أسلحة ومؤن، وسيطر الصليبيون على كل ممتلكات المسلمين.[3]

أُرسل شرف المعالي من طرف أبيه الأفضل في سنة 496 هـ / 1102م، بجيش كبير إلى عسقلان في الحملة الفاطمية الثانية، تبعت هذه الحملة نفس الطريق الذي سلكته الحملة السابقة، وتلاقى الجيشان الفاطمي والصليبيين بين عسقلان والرملة، وتم هزيمة الصليبيين بشكل كبير، قد صعد قائد الجيش الصليبي بالدوين الأول بصعوبة كبيرة، واضطر إلى التخفي في الحشائش، ثم تسلل إلى الرملة هو وبعض من معه، حاصرهم الجيش الفاطمي في الرملة،

[1]– شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، ج2 ص427.

[2]– ابن الأثير، الكامل، مج، ص68.

[3]– المصدر نفسه، ص68.

ولكنهم استطاعوا النجاة والهروب من قبضة الفاطميين الذين كانوا يخافون مطاردته، وتركوا خلفهم رجالاً قتلى وأسرى.[1]

لولا الفوضى التي انتابت جيش شرف المعالي وتنازع قادته بشأن الهدف المطلوب، كانت هذه الهزيمة كافية لإنهاء الوجود الصليبي في بيت المقدس والمنطقة بأكملها، فقد تصارعوا بين التوجه نحو بيت المقدس واستعادته وبين الانتقال إلى يافا والاستيلاء عليها، فوصل الخلاف إلى حد القتال بينهم، ويرجع سبب هذا الاختلاف وفقًا لبعض المؤرخين إلى ضعف شخصية شرف المعالي وضيق نظره، كان من الأجدر بالفاطميين أن يرسلوا جزءًا من قواتهم لاستعادة بيت المقدس، في حين تتجه القوات الفاطمية الأخرى لمهاجمة يافا.[2]

وبالتالي، فإن الفاطميين فقدوا فرصة استعادة القدس وأقاليمهم الأخرى في جنوب بلاد الشام، بعد قرارهم التوجه إلى مدينة يافا وحصارها، تمكن بلدوين من مباغتة القوات الفاطمية وإلحاق هزيمة بها، وبناءًا على المساعدات التي حصلوا عليها، استغل بلدوين هذه الفرصة وتمكن من إجبار القوات الفاطمية على الانسحاب إلى عسقلان، حيث قاموا بإعادة تجميعها لتفادي الإبادة، في هذا الوقت كان الفاطميون في انتظار المساعدة السريعة من الوزير الأفضل.[3]

وفقًا لابن الأثير، فإن الوزير الأفضل سمع بالهزيمة التي لحقت بابنه شرف الدين المعالي، وعلى الفور قام بإرسال حملتين للمساعدة، تم تشكيل الحملة البرية التي تضم أربعة آلاف فارس تحت قيادة المملوك تاج العجم، وكانت الحملة البحرية تحت قيادة القاضي ابن قادوس.[4]

---

[1]– ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، مج8، ص68–69.

[2]– ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص111.

[3]– محمد مقبل فهمي، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، د.د، د.ط، مصر، د.ت، ص70.

[4]–ابن الأثير، المصدر نفسه، مج8، ص68.

بالفعل لم يكن الفاطميون بحاجة إلى كثرة الرجال فحسب، بل كانوا بحاجة إلى تنظيم جيد وتعاون فعّال وتنفيذ دقيق للخطط الحربية، في حال رفض تاج العجم التعاون مع مساعده ابن قادوس[1] ، وقد علق رانسيمان على ذلك بالقول: " كان الفاطميون هم من أنقذوا الفرنجة في ذلك اليوم، بفضل استراتيجيتهم المتذبذب ة،[2] فقد كانت كتيبة صغيرة من جيشهم كافية لاستعادة بيت المقدس، ولكنها ضاعت بين معركة الرملة. وبذلك، ضاعت أعظم فرصة لاستعادة فلسطين."[3]

أدت هزيمة الجيش المصري في عسقلان إلى نهاية الوجود الفاطمي في بلاد الشام، باستثناء بعض المدن الساحلية، حيث تأكد الصليبيون من ضعف مقاومة الفاطميين، مما ساعدهم في تعزيز سيطرتهم على بيت المقدس، وكان بالإمكان أن يستولوا بسهولة على مدينة عسقلان بعد استسلام سكانها، لكن الخلاف الذي نشب بين جود فري وريموند حال دون احتلالها من قبل الصليبيين، وبلا شك أن هزيمة جيش الأفضل في معركة بيت المقدس فتحت الطريق أمام الصليبيين للاستيلاء بكل سهولة على الأراضي الباقية في بلاد الشام والمناطق المجاورة، وقد سيطروا على الجليل وحيفا وعكا في عام 497 هـ/ 1104 م، وعلى طرابلس في عام 502 هـ/ 1109 م وغيرها من المناطق ، يقول ابن تغري فيما يتعلق بالخليفة الفاطمي: "كان يتخاذل العظمة ولا يهتم بالجهاد... وكان هناك تقاعس في مسألة الغزو والجهاد حتى استولت الفرنج على معظم السواحل وحصونها في عهده ... ولم ينهض لمواجهة الفرنج على الإطلاق، وإنما أرسل جيشًا صغيرًا مع الأسطول، وهذا لم يكن يعني شيئًا"، ويجب أن نبحث

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ص28.

[2]– ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ج2، ص112.

[3]– المصدر نفسه، ج2، ص112.

عن الوحدة الحالية وتجاوز الخلافات الدينية وتوحيد الجهود لمواجهة العدوان الصليبي على بلاد الشام.[1]

3-مرحلة الاستقواء بالمدد العسكري السني:

كان من الأجدر بالفاطميين أن يتحالفوا مع السلاجقة السنة في بداية العدوان الصليبي على بلاد الشام، ومع ذلك قام الفاطميون بمهاجمة السلاجقة واستولوا على بيت المقدس ومدن أخرى، كما ذكرنا سابقًا. لم يتم التنسيق بين الفاطميين وأهل السنة من السلاجقة إلا في صيف عام 1105 م، عندما قام الوزير الأفضل بإرسال حملة كبيرة لطرد الصليبيين من بلاد الشام، طلب الوزير الأفضل من أمير دمشق طغتكين المساعدة في مواجهة العدو المشترك، على الرغم من الخلافات الدينية بينهما، وفعل طغتكين استجابة لنداء الفاطميين، وأرسل أحد رجاله ومعه ألف وثلاثمائة فارس، كانت هذه المحاولة العملية الوحيدة التي شارك فيها حكام مصر وبلاد الشام المسلمين معًا ضد الصليبيين.[2]

ذكر مؤرخ دمشق ابن القلانسي في سجلاته عام 498هـ: "في هذا العام، خرجت قوات كبيرة من مصر، وأرسل ظهير الدين أتابك استدعاءً للمساعدة والتجهيز لجهاد الكفار المعادين، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستجابة للدعوة بسبب بعض العوائق والمشاكل التي عرقلت المساعدة والاستعداد، ومن ثم عدل الرأي وقام بتوجيه الجيش المصري للتجهيز للجهاد، وانتقلوا بالقرب من عسقلان، وعرف الفرنجة وواجه الجانبان بين يافا وعسقلان، فظهر الفرنجة على المسلمين وتعرضوا للهزيمة، وتمت خسارة جيش مصر في عسقلان وجيش دمشق في بصرى".[3]

[1]- ابن تغري، النجوم الزاهرة ، ص176.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ص246.

[3]- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص148-149.

كانت الدولة الفاطمية في تلك الفترة ضعيفة ويائسة من استعادة الشام من السلاجقة السنة، وقد رأى أمير دمشق–طغتكين– في العلاقة الحسنة مع الفاطميين فرصة للحصول على الدعم ضد منافسه الأقوى من السلاجقة السنة في شمال الشام، وساعدت هذه العلاقة في التنسيق بين الشام ومصر ضد الصليبيين،[1] وكان الوزير الفاطمي الأفضل غير مهتم كثيرًا بالخلافات المذهبية بين السنة والشيعة، بل ركز على تحقيق أهدافه السياسية والعسكرية بنجاح.[2]

عندما فُرضت حصارًا بواسطة الحاكمين بلدوين على مدينة صور، قامت البلدة الفاطمية الشامية بتلبية طلب سكان صور بحمايتهم، فقد أرسلت المئات من سكان دمشق للمدينة، وتم تعيين مسعود واليًا عليهم، وتم توفير المؤونة والأموال لهم، وبينما لم تتراجع قوات الفاطميين في تزويد صور بالذخيرة والموارد، فقد تمكن أهل صور من الثبات داخل المدينة، في حين قدم طغتكين الدعم من الخارج[3] ، وظل الوفاق سائدا بين طغتكين وبين الوزير الفاطمي الافضل لمدة عشر سنوات وقد أرجع رانسيمان ذلك الى رغبتهما وحاجتهما الى بعضهم البعض لمواجهه الصليبيين.[4]

بعدما تمت الموافقة على سماح طغتكين الاحتلال بقوات دمشق بالدخول إلى صور، ولكن ذلك أثار غضب الشيعة المتشددين في مصر، وتسبب ذلك في مقتل الوزير الأفضل الفاطمي في القاهرة على يد بعض الباطنية في أواخر عام 1121م، وقد تجسد تعاون الفاطميين مع السنة المصريين بشكل أكبر أثناء تحدي بلدوين لمصر، تم التواصل بين الوزير الأفضل في مصر وطغتكين في دمشق للقيام بعمل مشترك ضد العدو المشترك، ووافق الأفضل على وضع

[1]– محمد بن مختار الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، الشركة العربية للأبحاث والنشر، د.ط، بيروت، 2016م، ص198.

[2]– محمد بن مختار الشنقيطي، المرجع السابق، ص198.

[3]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 178.

[4]– ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية ، ج2، ص199.

جيوشه في عسقلان تحت قيادة طغتكين[1]. وحضر طغتكين بنفسه إلى عسقلان، وأخبره قائد الجيش الفاطمي بأنه يتلقى تعليمات للالتزام برأي طغتكين واتخاذ الإجراءات المطلوبة بناءً على توجيهاته. [2]

بعد أن أدرك بلدوين خطورة الموقف، حاولوا عزل طغتكين عن الأفضل وعرضوا عليه عقد هدنة، ومع ذلك رفض طغتكين هذا العرض، مؤكدًا أنه سيؤدي إلى صدام بين الطرفين، حيث كان هناك رابط يجمع الصليبيين والمسلمين لمدة ثلاثة أشهر، وبعد انقضاء هذه الفترة، انصرف كل فريق في الاتجاه الذي جاء منه. [3]

بعد وفاة الوزير الأفضل، لم يستمر التحالف الشيعي السني لفترة طويلة، قام الخليفة الفاطمي بإقالة الحاكم الدمشقي مسعود بناءًا على شكوى أهل صور، حيث كان يحاول استعادة السيطرة الفعلية على المدينة، تمكن الفاطميون من كشف سياسة الخليفة في المساهمة مع الصليبيين، وتخلصوا من القوات الدمشقية السنية التي كانت تشترك في الدفاع عن صور، وهذا يؤكد تقصير الخليفة في الدفاع عنها، وعلق ابن بردي على ذلك بالقول: "في البداية، تقاعد الفاطميون عن نصرة المسلمين، والآن يأخذون سيف الدولة من صور وأصبحوا نجدة للفرنجة".[4]

توضح هذه الردود والتصرفات التي قامت بها الدولة الفاطمية ضعف موقفها وعجزها في مواجهة الصليبيين ومحاربتهم،[5] كان هناك رغبة قوية في التوصل إلى هدنة معهم وعدم التصعيد في محاولة طردهم من مناطقهم في جنوب بلاد الشام، وهناك من البيت الشيعي

[1]– ابن الأثير، الكامل ، مج8، ص178.

[2]– المصدر نفسه، مج8، ص178.

[3]– سعيد عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية ، ص37.

[4]– ابن تغري، النجوم الزاهرة ، ص181.

[5]– سعيد عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية ، ص37.

الفاطمي من رأى أن بقاء الصليبيين يعتبر ضمانًا لحماية ملك الفاطميين من طموحات السلاجقة.[1]

ومن الدلائل التي تؤكد هذا التوجه هو اغتيال الوزير الأفضل على يد الخليفة بأمر من الله، وذلك بسبب موقفه من الصليبيين وجهوده في إرسال حملات لاستعادة بيت المقدس ودعمه لسكان مدن جنوب الشام التي كانت تتعرض للاضطهاد من قبل الصليبيين، على الرغم من التعاقب الهزائم والاستمرار في الأوضاع على ما هي عليه.[2]

تحرك علماء شمال بلاد الشام في مدن دمشق وحلب ورغبتهم في السفر إلى بغداد للمطالبة بالثأر لما تعرض له المسلمون في بيت المقدس، أثار اضطرابًا في صفوف الفاطميين وزعزع استقرارهم وهيمنتهم على تلك المدينة، فأصبح من الضروري بالنسبة لهم التحرك واتخاذ إجراء قاطع كمشروع استعجالي، يُشوش على الخلافة العباسية السنية في بغداد في حالة تدخلهم في شؤون بلاد الشام تحت غطاء إنقاذ تلك البلاد من خطر الصليبيين، وعلى الرغم من عودة الوفد من بغداد إلى الشام دون تحقيق نجاح، إلا أن هذا الأمر يكشف بوضوح عن التحرك والدور الفاطمي في مواجهة العدوان الصليبي، الذي كان له دور سلبي ومصلحي.[3]

علق ابن خلكان على السهولة التي سلمت بها الفرنجة القدس بالقول: "لو كانت القدس في يد الأرتقيّة لكانت أصلح للمسلمين"، وبهذا يشير إلى أن الأتراك بذلوا جهودًا كبيرة في الدفاع عن بلاد الشام ضد هؤلاء الغزاة، على عكس الفاطميين الذين تساهلوا معهم.[4]

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية ، ص37.

[2]– ابن الأثير، الكامل ، مج8، ص207–208.

[3]– المصدر نفسه، مج8، ص19–20.

[4]– ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ص179.

فقد صور ابن تغري في تاريخه مدينة طرابلس–بعد سنوات– من الحزن ويرجع سقوطها إلى الفاطميين ويُلامهم على عدم اهتمامهم بمحاربة الصليبيين، ويقول: "لو تمت النجدة بأسرع ما يمكن وتم إرسال قوة كافية، لكان النصر حليف المصريين". ولكن لم يتم ذلك، ودخل الصليبيون إلى طرابلس في 12 أغسطس 1109م.[1]

سمح الفرنجة للقائد الفاطمي بالخروج بسلام مع فريق من رجاله، وهذا الأمر تكرر في عدة مدن دخلها الفرنجة، حيث يتم خروج قائد الدفاع ورجاله بأمان، وهذا ما حدث في بيت المقدس، فقد يكون هذا تطبيقًا لنصوص الاتفاق الموقع بين الفاطميين والصليبيين أثناء حصار مدينة أنطاكية.[2]

[1]– ابن تغري، النجوم الزاهرة ، ص180.

[2]– ابن الأثير، الكامل ، مج8، ص136.

المبحث الثالث: العلاقات الفاطمية السلجوقية

أولاً: موقف السلاجقة من الدعوة الفاطمية في العراق:

يعود أصل السلاجقة إلى الشعب التركي الذي استقر في الصحراء الشاسعة التي تمتد من حدود الصين شرقًا إلى شواطئ بحر قزوين غربًا، هذا الشعب المعروف أيضًا باسم الأوغوز أو الغز،[1] وقد أطلقت عليهم بعض المصادر الإسلامية لقب "التركمان" أو "ترك الإيمان" بعد اعتناقهم الإسلام، ويُنسب أصلهم إلى سلجوق بن دقاق.[2]

ظهر السلاجقة على الساحة السياسية في القرن 5هـ/11م، حيث نجحوا في غزو بلاد ما وراء النهر[3] ومناطق أخرى في وسط آسيا، واستطاعوا تثبيت سلطتهم في خراسان، وتم توجيه خطب لهم في خطب الجمعة في نهاية سنة 431 هـ/1040م بعد أن أطاحوا بسلطة البويهيين في بلاد فارس.[4]

يمكن القول بلا شك أن الخليفة العباسي القائم بأمر الله استفاد من طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق ومن قوات السلاجقة القوية للتخلص من بقايا البويهيين الشيعة ومواجهة الدعوة الفاطمية التي انتشرت في العراق، حيث كان السلاجقة ينتشرون في بغداد وأثاروا الفتن والاضطرابات، وقد دعمت هذه الموقف مواقفهم المتشددة تجاه مذهب أهل السنة ومحاربتهم للمذهب الشيعي الذي كان معاديًا للخلافة العباسية في بغداد.[5]

---

[1]– محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، د.ط ، بيروت، د.ت، ص292.

[2]– الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، تق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2004م، ص7.

[3]–بلاد ما وراء النهر: المناطق الواقعة شرقي نهر جيحون بخراسان، وكان يسمى قبل وصول الإسلام إليه ببلاد الهياطلة، وفي الإسلام سمي ما وراء النهر، وهو من أخصب الأقاليم وأكثرها خيرا. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص45.

[4]– بلاد فارس: ولاية واسعة واقليم فسيح، أول حدوده من جهة الغرب العراق، وبه كور عديدة، وأنهار كثيرة. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص 226–228.

[5]– عبد المنعم محمد حسنين، دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط ، القاهرة، 1975م، ص41.

طلب الخليفة العباسي القائم بالله في عام 447 هـ / 1055م المساعدة من طغرل بك السلجوقي واستدانه بالسلطة، بعدما تلقى الخليفة معلومات بأن أرسلان البساسيري[1] يعتزم نهب دار الخلافة واعتقال الخليفة.[2]

وصل طغرل بك إلى بغداد في 25 رمضان / 18 ديسمبر من نفس السنة، بعد أن أذن له الخليفة بالدخول، وكان في استقباله القضاة والفقهاء والأشراف والأمراء. تم إلقاء خطبة لطغرل بك على منابر بغداد، وتم اعتقال الملك الرحيم وانتهت حكم دولة بني بويه.[3]

توجه البساسيري إلى الرحبة بعد فراره من بغداد، وخطب بها للفاطميين، وكاتب المستنصر الفاطمي بأنه على طاعته، وعزمه على إقامة الدعوة له في العراق، وأنه قادر على ذلك، فولاه المستنصرُ الرحبة،[4] وأرسل له "خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك، وعشرة آلاف قوس، ومن السيوف ألوفاً، ومن الرماح والنشاب شيئاً كثيرا.[5]

أقام البساسيري وأتباعه الخطبة للمستنصر الفاطمي في الكوفة والموصل وواسط وأعلنوا شعار الفاطميين، وجاءته الخلع والهدايا من مصر، فاستفحل أمره، وأراد العودة إلى بغداد، واقامة الخطبة الفاطمية بها، فقام بمراسلة إبراهيم ينال أخ السلطان طغرل بك يطلب منه عصيان أخيه، ويطمعه في الملك، ويعدُه بمعاضدته عليه، فحاول إبراهيم ينال الانفصال عن

---

[1]–البساسيري: أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري مقدم الأتراك ببغداد، كان مملوكاً للبويهيين، ثم عظم أمره، وخرج على الخليفة العباسي القائم بأمر الله ببغداد، ودعا للفاطميين، قبض عليه ثم قُتل وصُلب ببغداد على أيدي السلاجقة وسمي بالبساسيري نسبة إلى بلدة بسا أو فسا ببلاد فارس.

أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص412. ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج1، ص192.

[2]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج30 ، ص20.

[3] الذهبي، المصدر نفسه، ج30، ص21.

[4]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص87.

[5]– الذهبي، المصدر نفسه، ج30، ص37.

أخيه طغرل بك الذي خرج من بغداد إلى همذان[1] للقضاء على تمرد أخيه، فاستغل البساسيري خروج طغرل بك من بغداد وانشغاله بقتال أخيه، فدخلها يوم الأحد 8 ذي القعدة سنة 450هـ/27 ديسمبر 1058م, وأعلن ولائه للمستنصر الفاطمي، وخطب له في جوامع بغداد، وازد في الأذان حي علي خير العمل، وانتقم البساسيري من أهل بغداد انتقاماً عظيماً، وقتل من كان يعاديه، وأجبر القضاة والأعيان من العلويين والعباسيين على بيعة المستنصر الفاطمي، فبايعوا قهرا[2] ، وعلى أية حال فإن ثورة البساسيري، ودعوته للفاطميين في بغداد لم تدم طويلاً، فبعد انتصار طغرل بك على أخيه إبراهيم ينال، عاد إلى بغداد، وأعاد الخليفة القائم بأمر الله إلى عرشه، ثم قاتل البساسيري حتى قتله لتعود الدعوة العباسية إلى العراق مرة أخرى.[3]

ثانياً: دخول السلاجقة بلاد الشام وموقفهم من الدولة الفاطمية:

بعد تحقيق الاستقرار في خراسان والعراق، قرر سلطان السلاجقة ألب أرسلان القضاء على نفوذ الدولة الفاطمية في بلاد الشام، ومن ثم التوجه إلى مصر لإسقاط الدولة الفاطمية واستعادتها للمذهب السني،[4] تلقى دعمًا من ناصر الدولة بن حمدان، أحد القادة البارزين في مصر، الذي طلب من ألب أرسلان إرسال جيش للاستيلاء على مصر وإقامة الدعوة العباسية فيها.[5]

---

[1]– همذان: مدينة عذبة الماء وطيبة الهواء، فتحها المسلمون بقيادة الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه–، وهي مدينة حصينة ومنيعة، كثيرة الأهل، واسعة الأنهار، ملتفة الأشجار، كثيرة المقاتلة.

أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص410–411.

[2]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج30، ص32.

[3]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص89–90. الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص17.

[4]– محمد طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ص114.

[5]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص302.

على ما يبدو، لم يكن ألب أرسلان مطمئنًا بشأن ولاء محمود بن مرداس للخلافة العباسية، قام بالذهاب بنفسه إلى حلب لإخضاعها وفرض الحصار عليها، وأصر على أن يقدم محمود بن مرداس نفسه له، وعلى الرغم من رفض محمود هذا الطلب، إلا أنه خشي من سقوط حلب بسبب استمرار الحصار، لذا خرج محمود في الليل إلى السلطان وكان يرافقه والدته لتشفع له، فقد عفا السلطان عنه وأقره في منصبه.[1]

بعد إخضاع حلب، لم يكتف ألب أرسلان وأرسل في نفس السنة 463 هـ / 1071 م الأمير التركي أتسز بن أوق الخوارزمي إلى بلاد الشام، قام أتسز بفتح الرملة وبيت المقدس والمناطق المحيطة بهما في البلاد باستثناء عسقلان، ثم توجه إلى دمشق وحاصرها وألحق بها أضراراً، ولكنه لم يتمكن من فتحها بالكامل بعد ذلك، عاد إلى بيت المقدس حيث أخضعها تمامًا تحت سيطرته في سنة 465 هـ / 1073 م، وأعلن الأمان لأهلها، جعل بيت المقدس قاعدة له للاستعداد لاستكمال سيطرته على بلاد الشام[2].

استمر أتسز في التوجه إلى دمشق كل عام عندما تنضج محاصيلها، حيث يأخذها لتمويل جنوده وتعزيز اقتصاد دمشق، ولم يتمكن الوالي الفاطمي المعلى بن حيدرة من مواجهة هجمات السلاجقة، فهرب من المدينة في سنة 468هـ / 1076م، عندما علم أتسز بذلك، قام بحصار دمشق وسلم إليه بالأمان، دخل المدينة في ذي القعدة / يونيو من نفس السنة وخطب لصالح المقتدي بأمر الله العباسي، كما ألغى الأذان الشيعي واستبدله بالأذان السني "حي على خير

[1]– أحمد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص68.

[2]– الذهبي، تاريخ الإسلام، ج31، ص14.

العمل"، أعرب الناس في أنحاء الشام عن سعادتهم بقدوم السلاجقة وانتهاء حكم الفاطميين، حيث كانوا يعتبرونهم حكامًا ظالمين[1].

وهكذا يتبين أن تحركات السلاجقة كانت تهدف إلى القضاء على النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، وعاضدهم على ذلك بُغض أهالي الشام للفاطميين ولمذهبهم الشيعي.

إن النجاح الذي حققه أتسز في القضاء على الفاطميين واستيلائه على فلسطين دفعه للتفكير في التوجه نحو مصر للسيطرة عليها وإزاحة الفاطميين من سلطتهم، وبعد ذلك قرر أتسز أن يقود جيشه نحو مصر في سنة 469 هـ / 1077م، خرج أمير الجيوش بدر الجمالي بجيش كبير، لكنه هُزِمَ على يد أتسز، وقد وضع السيف في عساكرهم، قُتِلوا ونُهِبوا وأُسِروا، لقد قُتِلَ معظم أصحاب بدر الجمالي، وقتل أخ له وقُطِعَت يد أخ آخر، عاد أتسز منتصراً إلى الشام مع عدد قليل من الأسرى، ووصل إلى الرملة، ثم انتقل منها إلى دمشق بعد هزيمته في مصر[2].

ويبدو أن ذلك الانتصار الذي حققه بدر الجمالي قد شجعه على إرسال حملة في السنة التالية لاسترداد دمشق، وجعل قائدها ناصر الدولة الجيوشي[3] الذي ما لبث أن وصل حلب، وحاصرها مدة، ثم رحل عنها دون السيطرة عليها.[4]

رغم أن الفاطميين لم ييأسوا من استعادة سيطرتهم على مدينة دمشق، إلا أن بدر الجمالي، قائد الجيوش الفاطمية، أُرسِلَ مرة أخرى في سنة 471 هـ / 1079م بجيش كبير، وتمكن من السيطرة على جنوب بلاد الشام وحاصر دمشق بهدف الدخول إليها، [5]ولكن أتسز اضطر إلى

---

[1]– الذهبي، العبر في خبر من عبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1985م، ج2، ص323.

[2]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص109–111.

[3]– المصدر نفسه، ص112.

[4]– الذهبي، دول الإسلام، المصدر السابق، ج1، ص404.

[5]– ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص112.

طلب مساعدة تتش بن ألب أرسلان، الحاكم السلجوقي الذي كان في حلب، وكان أخوه السلطان ملكشاه قد قطع الطريق على الفاطميين ومنعهم من السيطرة على تلك المنطقة في سنة 470 هـ / 1078 م، عندما سمع بناصر الدولة، قائد الجيوش الفاطمية، عن قرب تتش وجيشه الكبير القادم لنجدته، قرر مغادرة دمشق والعودة إلى مصر، ودخل السلطان تتش إلى دمشق وأظهر حسن تصرف تجاه سكانها بعد سوء معاملة أتسز لهم،[1] وبذلك أحبط تتش محاولة الفاطميين في استعادة السيطرة على دمشق واعادتها مرة أخرى للحكم الفاطمي، ويعتقد أن هذا الفشل يرجع إلى قوة السلاجقة السنة وضعف الفاطميين وعدم استقرار أوضاعهم، بالإضافة إلى عدم تأييد سكان الشام لهم وتمويلهم للسلاجقة.

استغل شرف الدولة صاحب حلب في سنة 475هـ / 1082م، خروج تتش إلى أنطاكية ومناطق مجاورة لمواجهة الروم، قام شرف الدولة بتجميع جيش وأرسل إلى الخليفة في مصر لطلب الإمدادات لحصار دمشق، وعده الخليفة بتلبية طلبه ولكنه لم يفِ بوعده، في الوقت نفسه قاتل عسكر دمشق مسلم بن قريش أثناء حصار المدينة، وتم هزيمته، مما أجبره على الانسحاب من دمشق، شرف الدولة سيطر على حلب في سنة 472هـ / 1080م، وجعلها تحت سيطرة السلطان ملكشاه السلجوقي،[2] حتى تم تحقيق السيطرة الكاملة للسلاجقة عليها في سنة 478هـ/ 1085م.[3]

لم يتمكن الفاطميون من الحفاظ على نفوذهم في بلاد الشام، حيث تم سحب ولايتهم عن قلعة بعلبك في شهر صفر من عام 476هـ / يوليو 1083م على يد المستنصر الفاطمي

[1]– الذهبي، العبر في خبر من عبر، ج2، ص329.

[2]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص113.

[3]– ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، مر: سهيل زكار، دار الفكر، د.ط، بيروت، 2000م، ج5، ص9.

واعطاءها الى تاج الدولة تتش[1]، وعلى الرغم من ذلك حاول الفاطميون استعادة نفوذهم في بلاد الشام، حيث قاد أمير الجيوش بدر الجمالي بنفسه جيشًا في عام 478هـ/ 1085م، وتمكن من حصار دمشق وضيق الخناق على تاج الدولة تتش، ومع ذلك لم يتمكن من الاستيلاء عليها واضطر للعودة إلى مصر.[2]

أرسل الوزير الفاطمي بدر الجمالي في عام 482هـ / 1089م، جيشًا من مصر بقيادة ناصر الدولة الجيوشي إلى صور وقام بحصار المدينة، في ذلك الوقت كان هناك القاضي عين الدولة بن أبي عقيل في صور، وقد صمد في وجه الفاطميين حتى وفاته، وبعد وفاته، تسلمت الفاطميون المدينة بعد أن لم يكن بإمكان أبنائه الصمود أمام حصارهم.[3]

زحف الفاطميون في نفس السنة، إلى مدينة صيدا وتمكنوا من فرض سيطرتهم عليها وإخضاعها لحكمهم، بعدها استولوا أيضًا على مدينتي عكا وجبيل،[4] التي تقعان على الساحل، كما سيطروا على مدينة غزة في نفس السنة، ثم نزلوا إلى بعلبك واضطر صاحبها إلى إقامة الخطبة للمستنصر الفاطمي، وعاد الجيش الفاطمي إلى مصر بعد أن ولاه أمير الجيوش الفاطميين تلك البلاد، سمح الجيش الفاطمي لحكام موالين لهم بالاستمرار في حكم تلك المدن، مما سمح بعودة نفوذ السلاجقة مرة أخرى إلى المناطق التي دخلت في طاعة الفاطميين واستعاد تتش حصن بعلبك، ثم نزل بجيشه على حمص وعرقة وأفامية وسيطر عليها، وشن هجومًا على طرابلس وانسحب منها بعد ذلك[5].

---

[1]– ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج5، ص115.

[2]– الذهبي، دول الإسلام، ج1، ص410.

[3]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص120.

[4]– الذهبي، المصدر نفسه، ج1، ص414.

[5]– ابن تغري، المصدر نفسه، ج5، ص128.

أعلن والي صور منير الدولة الجيوشي عصيانه للفاطميين سنة 486هـ/ 1093م، في رد فعل على ذلك قاد أمير الجيوش جيشًا لحصار مدينة صور، وتمكن من دخولها بعد أن ثار سكانها على منير الدولة ونادوا بشعار المستنصر، هاجم الجيش الفاطمي المدينة وقام بأعمال النهب والسلب فيها، تم أسر منير الدولة ومرافقيه، وتم نقلهم إلى مصر حيث قتلوا جميعًا، تم فرض غرامة مالية قدرها ستون ألف دينار على سكان صور.[1]

قام حاكم حلب رضوان بن تتش السلجوقي في سنة 490هـ/1097م، بخطبة للمستعلي الفاطمي بعد صراع مع أخيه دقاق، وافق في البداية على دعوة المستعلي واقتداءً به، بعد أن وصله رسول من الأفضل (مسئول فاطمي) من مصر يدعوه إلى طاعته ونشر الدعوة لصالحه،[2] ولكنه تراجع عن ذلك بعد فترة قصيرة عندما دخل سقمان وياغي سيان (صاحب أنطاكية) إلى حلب، وانكروا ما قام به من خطبة للفاطميين.[3]

أعلن والي صور المعروف بالكتيلة في ربيع الأول / مارس من نفس السنة، انشقاقه عن طاعة الفاطميين، ردًا على ذلك أرسل أمير الجيوش الأفضل جيشًا لاستعادة صور بالقوة، خاضوا معركة وفتحوا المدينة بالقوة، وقتلوا العديد من سكانها ونهبوا ثرواتها، تم أسر الكتيلة ونقله إلى مصر حيث قتل هناك.[4]

تمكن الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي في شهر شعبان سنة 491هـ/ يوليو 1098م، من استعادة السيطرة على بيت المقدس، بعد أن استولى عليها من حاكميها إيلغازي وسقمان ابني أرتق، وكان برفقتهما جماعة من أقاربهما ورجالهما وجنود من الأتابك الفاطميين

[1]– أحمد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص72.

[2]– الذهبي، العبر، ج2، ص362.

[3]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص133.

[4]– علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ب ، 1999م، ص209.

قام الأفضل بمراسلتهما، يلتمس منهما تسليم المدينة له بدون حرب، ولكنهما رفضا الامتثال لذلك، فقام الأفضل بقتال السكان ونصب المنجنيقات، وهدم جزءًا من المدينة،[1] وبعد مقاومة أهل المدينة لمدة أكثر من أربعين يومًا، اضطر الأرتقة لتسليم المدينة للفاطميين، ثم غادر سقمان إلى الرها، وايلغازي إلى بغداد، واستعان الفاطميون بشخص يعرف بافتخار الدولة ليصاغ لهم سياستهم بشكل مختلف.[2]

تتابعت المعارك والصراعات بين السلاجقة والفاطميين، مما أدى إلى استنزاف قوتهم وتراجع نفوذهم، كانت بلادهم في حالة فوضى شاملة، وقواتهم قد تعبت من الحروب وفقدت رغبتها في المواجهة، هذا أدى إلى زيادة الاضطرابات والتدهور السياسي في بلاد الشام في القرن 5هـ/11م وهذا المشهد المضطرب سهل الوصول للصليبيين الذين انطلقوا في غزواتهم على الأراضي الإسلامية.[3]

[1]– ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص135.

[2]– أحمد حافظ حسين طاعة، المرجع السابق، ص73.

[3]– علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية ، ص209–210.

خـاتمـة

خـاتمـة:

من خلال عرضنا لموقف الفاطميين من العدوان الصليبي على بلاد الشام وأثره على العلاقات الاقليمية خلال القرنين 5هـ-6هـ/11م-12م , توصلنا الى مجموعة من النتائج الهامة منها:

- إن الانتصارات الكبيرة والمكاسب التي حققها الصليبيون في الشرق الأدنى غداة وصولهم إليه في أواخر القرن الحادي عشر ، لم يكن مردها القوة العسكرية ، بقدر ما كان مردها ضعف القوى الاسلامية في المنطقة ، ووقوعها في منازعات وخلافات مكنت الأعداء من السيطرة والتوسع أكثر والاستقرار ببلاد الشام نحو قرنين من الزمان.
- من أسباب ضعف المسلمين في الشرق الأدنى في القرن الحادي عشر كان ازدياد الخلاف بين السنة والشيعة ، وهو الخلاف الذي خلق صداما فكريا ، وأوجد صراعا روحيا ، وولد فرقة سياسية بين المسلمين بعضهم بعض ، واذا بنا أمام جبهتين متعاديتين ، ربما فضلت احداهما محالفة العدو الدخيل على المسلم الخارج عن مذهبها.
- اشتدت الفتن المذهبية بين الشيعة والسنة في العراق وخاصة بغداد طوال القرن الحادي عشر للميلاد ، وجاء كثير منها مصحوبا بالقتل والنهب والفوضى ، الأمر الذي زاد من خطورة انضمام بعض الأمراء وكبار رجال الدولة الى هذا الجانب أو ذاك من الجانبين المتنازعين ، ولم تقتصر هذه المنازعات والخلافات المذهبية على العراق ، وانما امتدت الى مصر.
- اذا كان الخلاف قد ظهر في صورة واضحة داخل الدولة العباسية السنيّة في العراق ، وداخل الدولة الفاطمية الشيعية في مصر ، فإنه كان لابد وأن يظهر بالشام في صورة صدام عنيف بين الخلافتين العباسية والفاطمية ، وقد جاء ضعف الخلافة العباسية في بغداد مصحوبا بانحسار نفوذها عن كثير من البلاد ومن جملتها بلاد الشام ، في الوقت الذي استولى الفاطميون على مصر في القرن العاشر لميلاد و أخذوا يتطلعون الى بلاد الشام بل

إلى العراق نفسه لمنازعة الخلافة العباسية زعامتها على العالم الاسلامي ، وصحب امتداد النفوذ الفاطمي الى الشام انتشار المذهب الشيعي ، ولم تلبث أن غدت بلاد الشام هي الأخرى مسرحا للمنازعات بين الشيعة والسنة .

- إن الانقسام الذي حدث في الشرق الأدنى جاء على حساب وحدة الجبهة الاسلامية مما مهد للصليبيين غزو بلاد الشام وزاد من تسهيل مهمتهم أن الخلافة الفاطمية التي مدت نفوذها الى الشام في قوة وجرأة أواخر القرن العاشر للميلاد ، لم تلبث أن تعرضت للضعف في القرن الحادي عشر للميلاد مما أعجزها الاحتفاظ بمكاسبها في بلاد الشام.
- تحكم روح العداء بين الفاطميين في مصر والسلاجقة بالشام وخاصة حكام دمشق وهو العداء الذي جعل الفاطميين ينظرون دائما الى سلاجقة الشام نظرة شك وريبة ، واذا كان الفاطميون قد تحالفوا مع الصليبيين ضد اخوانهم المسلمين من اسنة فقد أثبتوا خيانتهم بشكل واضح لا يحتاج الى مناقشة ، وهو ما يفسر ازدواجية نظرتهم للصليبين بعين والى السلاجقة بعين أخرى مما افقدهم قوة التركيز المادي والمعنوي في مقاومة الصليبيين .

الملاحق

الملحق رقم01:

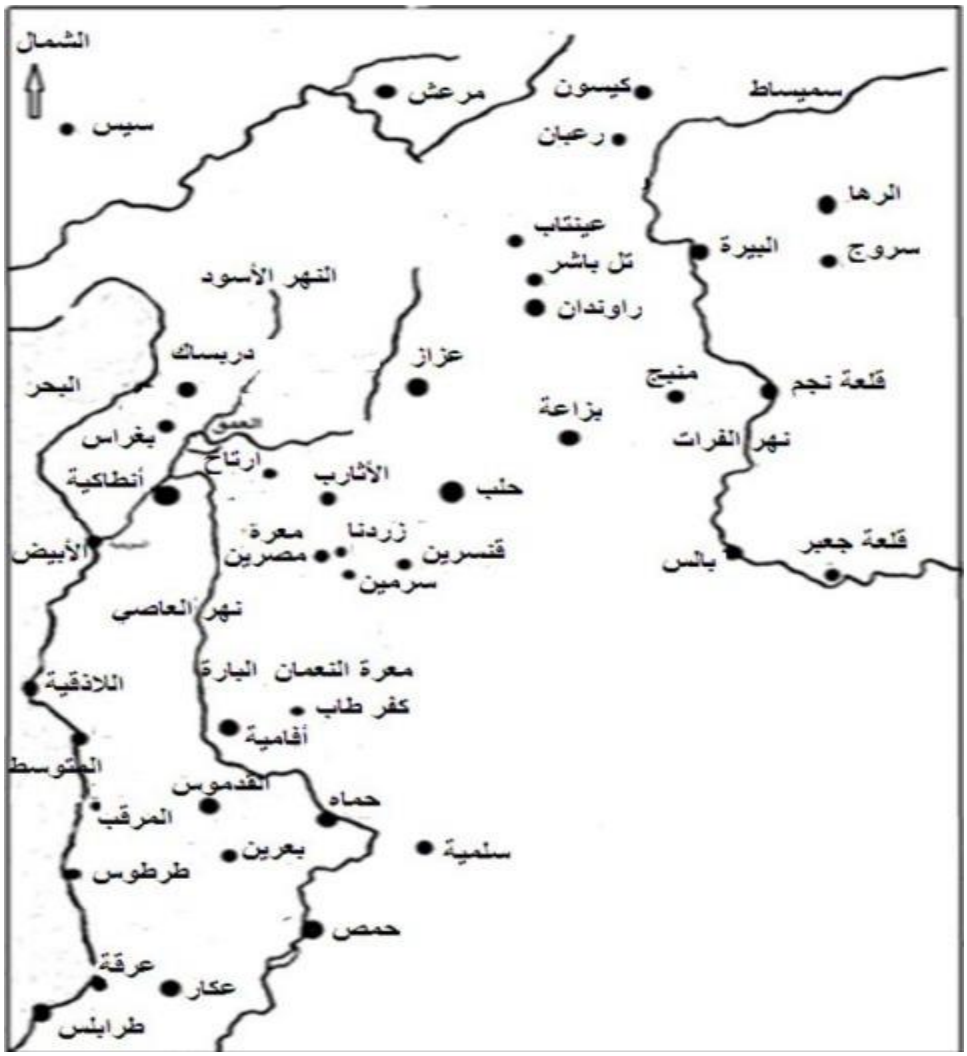

القسم الشمالي من بلاد الشام.

***طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص262.**

الملحق رقم 02:

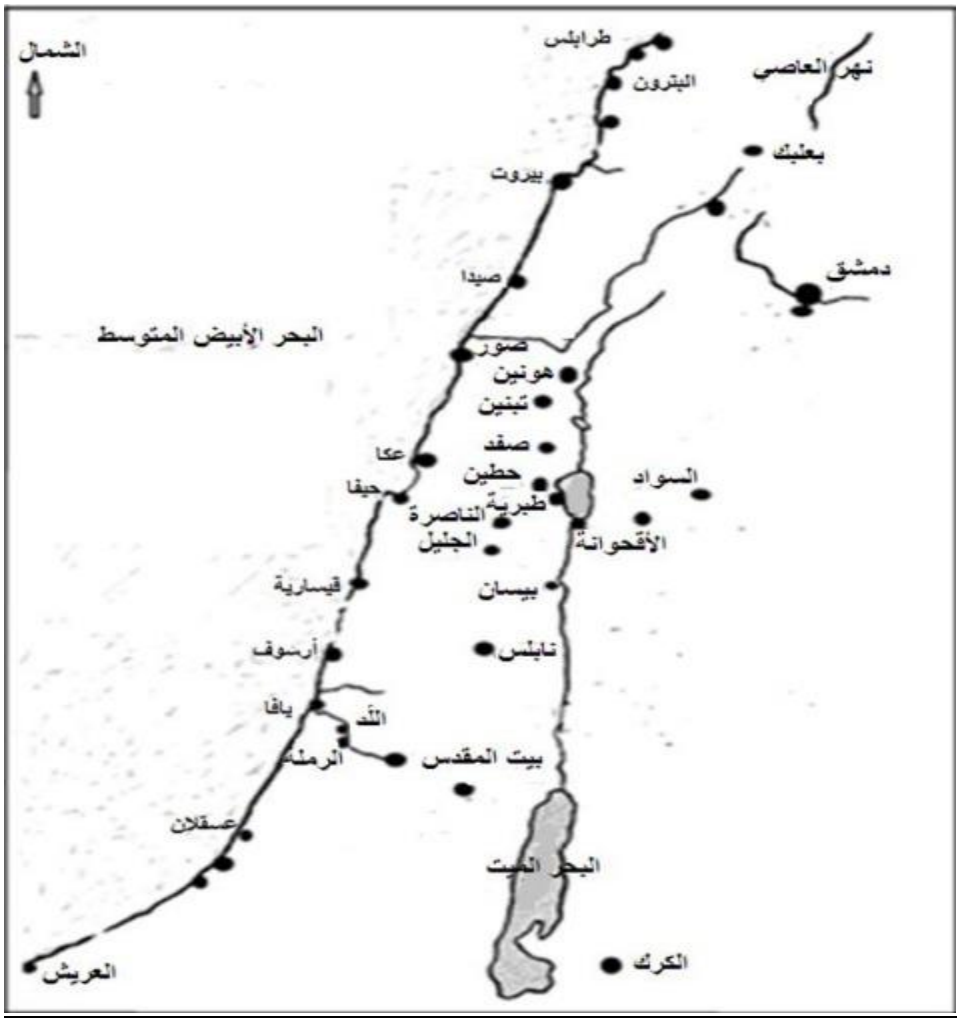

القسم الجنوبي من بلاد الشام.

***طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص261.**

الملحق رقم 03:

الموانئ الإيطالية الشهيرة ودورها الاقتصادي في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص25.**

الملحق رقم 04:

السيد والفارس والقن.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص23.**

الملحق رقم 05:

مقتطف من خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت Clermontسنة 1095 م

في سنة 1095م تم عقد مجلس كبير في الغال في مقاطعة أوفيرني Auvergne، في مدينة تسمى كليرمونت، ترأسه البابا أوربان الثاني، بصحبة الكرادلة والأساقفة. ولقد شهد هذا ا لس منافسة كبيرة بين الفرنسيين والألمان، سواء كانوا من الأساقفة أو الأمراء. فبعد تسوية الشؤون الكنسية، خرج البابا إلى مكان واسع، لأنه لا يمكن أن يحتوي أي مبنى على من جاء للاستماع إليه. ثم بلطف وبلاغة مقنعة، خاطب الجميع قائلا: ''الرجال الفرنسيون، رجال من وراء الجبال، أمم كما نراها تتألق بأعمالك، اختارها الله واعتز، وفضلها على شعوب العالم الأخرى، كلاهما بسبب الموقف من أراضيكم، إنه بالإيمان الكاثوليكي والشرف الذي تضفيهما على الكنيسة المقدسة. نوجه إليكم كلامنا، ونوجه إليكم تحياتنا: نحن نريد إطلاعك على السبب المؤلم الذي أوصلنا إلى بلادكم. وكيف اجتذبتنا رغباتك وأولئك المؤمنين، من حدود القدس ومدينة القسطنطينية أتت إلينا أخبار محزنة.

إخواننا كثيرا ما تلقوا ضربات من "شعوب مملكة الفرس ''الأمة اللعينة"، أمة غريبة كلياً على الله،...قد غزت هذه الأراضي "أرض المسيحيين، حطمتهم بالحديد"، بت وأحرقت، وأخذ بعضهم أسيرا، ووضع الآخرون حتى الموت، وأطيح من أسفل إلى أسفل، وجعلت كنائس الله تخدم احتفالات عبادته، هؤلاء الرجال يسقطون في المذابح، بعد التنكيل، ويسفكون دماءهم، أولئك الذين يرغبون في تدميره بموت مخجل...ماذا أقول عن انتهاك أعراض النساء؟ سيكون من المؤسف أن أتحدث عن الأمر أكثر من الصمت... لقد قاموا بتمزيق الإمبراطورية اليونانية، واحتلوا مساحة لا يمكن عبورها خلال شهرين من السفر... إن لم يكن لك الذي منحه الرب على جميع الأمم الأخرى "شارة المجد؟ ...، وعظمة الروح ''خفة الحركة في الجسم وقوة لخفض رؤوس" أولئك الذين يقاومونك؟ دعوا قلوبكم تتحرك، ويجعل أرواحكم جريئة من أعمال أسلافكم، فضيلة وعظمة الملك شار لمان Charlemagne وابنه لويسLouis ، وملوكك الآخرون، الذين دمروا هيمنة الأتراك ومددت في بلادهم إمبراطورية الكنيسة المقدسة. نأمل قبل كل شيء لصالح قبر يسوع المسيح، منقذنا، والذي يمتلكه الجنس الخسيس، والأماكن المقدسة الأخرى التي يدنسوا ا وينجسوا.

أيها الفرسان الشجعان، الأجيال القادمة، خرجوا من آباء لا يقهرون، لا تتراجع، ولكن تذكروا فضائل أسلافكم، إذا كنت تشعر بالضيق بسبب حب أطفالك الأعزاء، من أتباعك، من زوجاتك، هل تتذكر ما يقوله الرب في إنجيله؟ :"من يحب أبيه وأمه أكثر مني أنا، لا يستحقني " من ترك " منزله أو إخوته" أو أخواته أو والده أو والدته أو زوجته أو "أطفاله أو أراضيه، سيحصلون على مائة ضعف"، وسيحصلون على ميراث الحياة الأبدية.

لا تنزعج من أي اهتمام بممتلكاتك وشؤون عائلتك، لأن هذه الأرض التي تسكنها، والمحاطة بمياه البحر ومرتفعات الجبال، تقتصر على نطاق ضيق للسكان، لا تكثر ا الثروات، ونادرا ما توفر الغذاء لأولئك الذين يزرعوا، ومن ثم،

فأنت تمزق نفسك وتلتهمها، وتثير الحروب ... أطفئوا كل الكراهية بينكم ،...، ودعوا الحروب تهدأ، واجعل كل مرارة انشقاقاتك تنام. قبل الدخول إلى طريق القبر المقدس، وتحرير هذا البلد من أيدي هذه الأمم البغيضة، وإضافته إلى قوتك.

لقد أعطى الله إسرائيل ملكية هذه الأرض، التي يقول فيها الكتاب المقدس "تدر الحليب والعسل"، القدس هي المركز ‘‘إن أراضيها، الخصبة قبل كل شيء، تقدم، إذا جاز التعبير، مسرات جنة أخرى" مخلص الجنس البشري الذي أوضحه "بقدومه، تم تكريمه من قبل محل إقامته، ... "

هذه المدينة الملكية، التي تقع في وسط العالم، والتي أصبحت الآن أسيرة لأعدائها، تحولت إلى عبودية الأمم الجاهلة بقانون الله. لذلك فهي تطلب منك وتتمنى خلاصها، ولا تتوقف أبدا عن المطالبة بأن تأتي لإنقاذها. إ ا في الغالب تتوقع منك المساعدة، لأنه كما أخبرناك، لقد منحك الله، قبل كل شيء "الشارة المجيدة". خذ هذا الطريق .... من المجد الذي ينتظرك في مملكة السماوات.

بعد أن ألقى البابا أوربان هذا الخطاب المليء بالمدنية والعاطفة ،...، توحد شعور الحاضرين وهتفوا جميعا بصوت عال "الله يريد ذلك، الله يريد ذلك" ... بعد سماع حبر روما الموقر. شكر الله ورفع عينيه إلى السماء طالبا الطمأنينة قائلا: ‘‘أيها الإخوة الأعزاء، استمتعت في هوسكم الي اليوم بما قاله الرب في إنجيله: عندما يتم تجمع اثنين أو ثلاثة باسمي، سأكون في وسطهم، لأنه إذا كان الرب الإله لا يحرم في نفوسكم، فلن تنطق بنفس الكلمة، وبالرغم من أن هذه الكلمة مأخوذة من عدد كبير من الأفواه، فإنها لا تأتي بنفس المبدأ،... وبصوت واحد ردد الحاضرون "الله يريد ذلك، الله يريد ذلك".

نحن لا نعطي أو ننصح لا للمسنين ولا للضعفاء، ولا لأولئك الذين ليسوا مؤيدين للأسلحة، إن هذا الطريق لا تسلكه نساء بلا رجال ،... بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، يشكلون إحراجًا وليس مساعدة، ويصبحون أكثر اعتمادًا على النفع، اسمح للأثرياء بمساعدة الفقراء،...، الرجال يصلحون للحرب، لا يجوز للكهنة أو مهما كان وضعهم ،... ، دون إذن أسقفهم،...، لأنهم إذا ذهبوا إلى هناك بدون هذه الإجازة، فلن تكون الرحلة أكثر حكمة بالنسبة لهم ،... وليست بمباركة "... كل من لديه الإرادة لاتخاذ هذا الحج المقدس ،وسوف يلتزم بالله، وسيكرس نفسه للتضحية ،... مقدس ومقبول ... أنه يرتدي علامة صليب الرب على جبينه أو على صدره ،...

"الرب، الذي علم في كتابه الإنجيل: "من لا يأخذ صليبه ولا يتبعني فلا يستحقني".

للمزيد من التفاصيل عن الخطاب :Robert le Moine, op.cit., PP.301-313

ملحق رقم 06:

مرتسم أوروبي لمجمع كليرمونت لخطبة البابا أوربان الثاني.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص18.**

ملحق رقم07:

الحملة الصليبية الشعبية.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص29.**

ملحق رقم08:

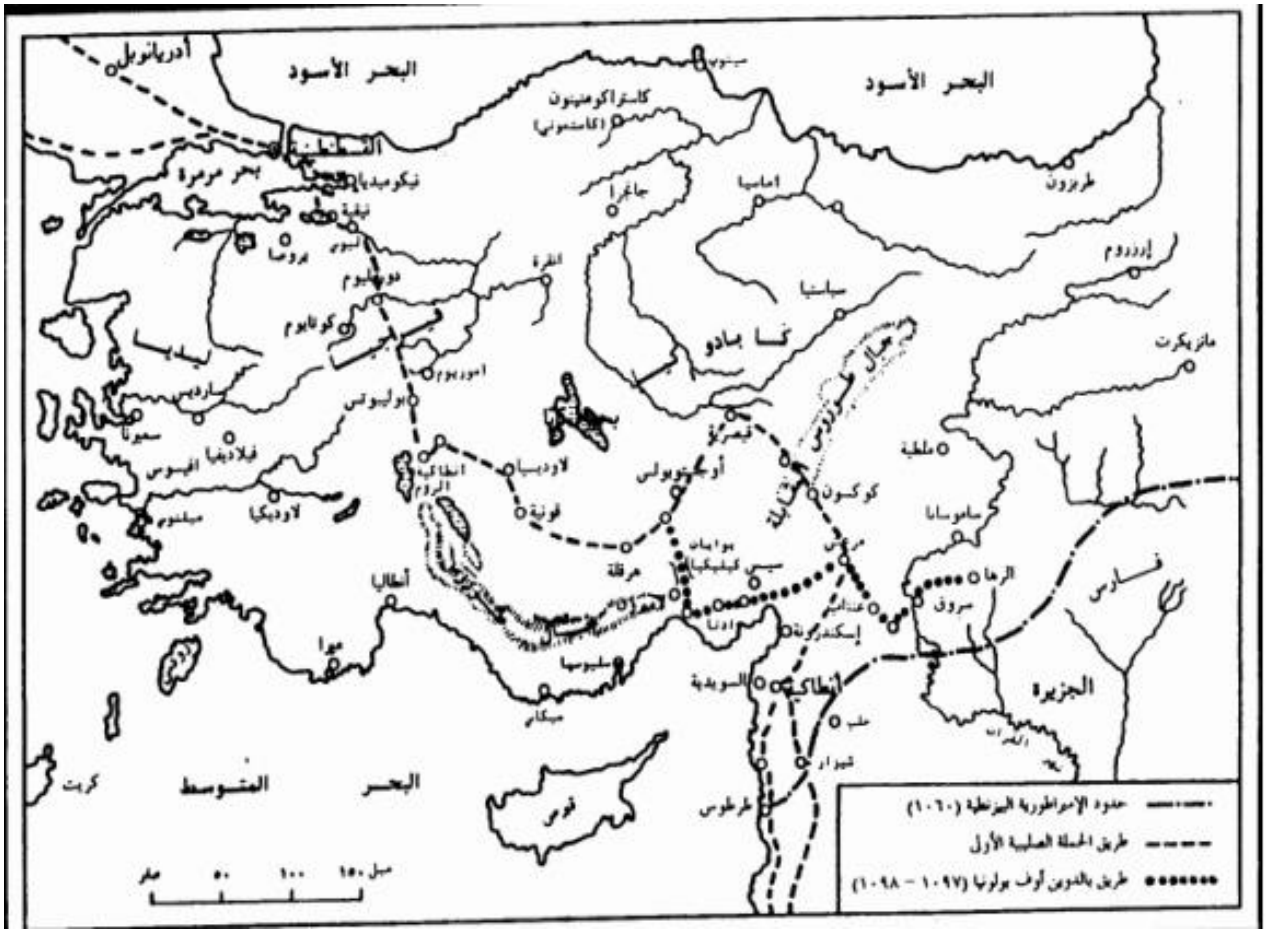

آسيا الصغرى في وقت الحملة الصليبية الأولى.

***ستيفن رانسيمان، المصدر السابق، ج1، ص244.**

ملحق رقم09:

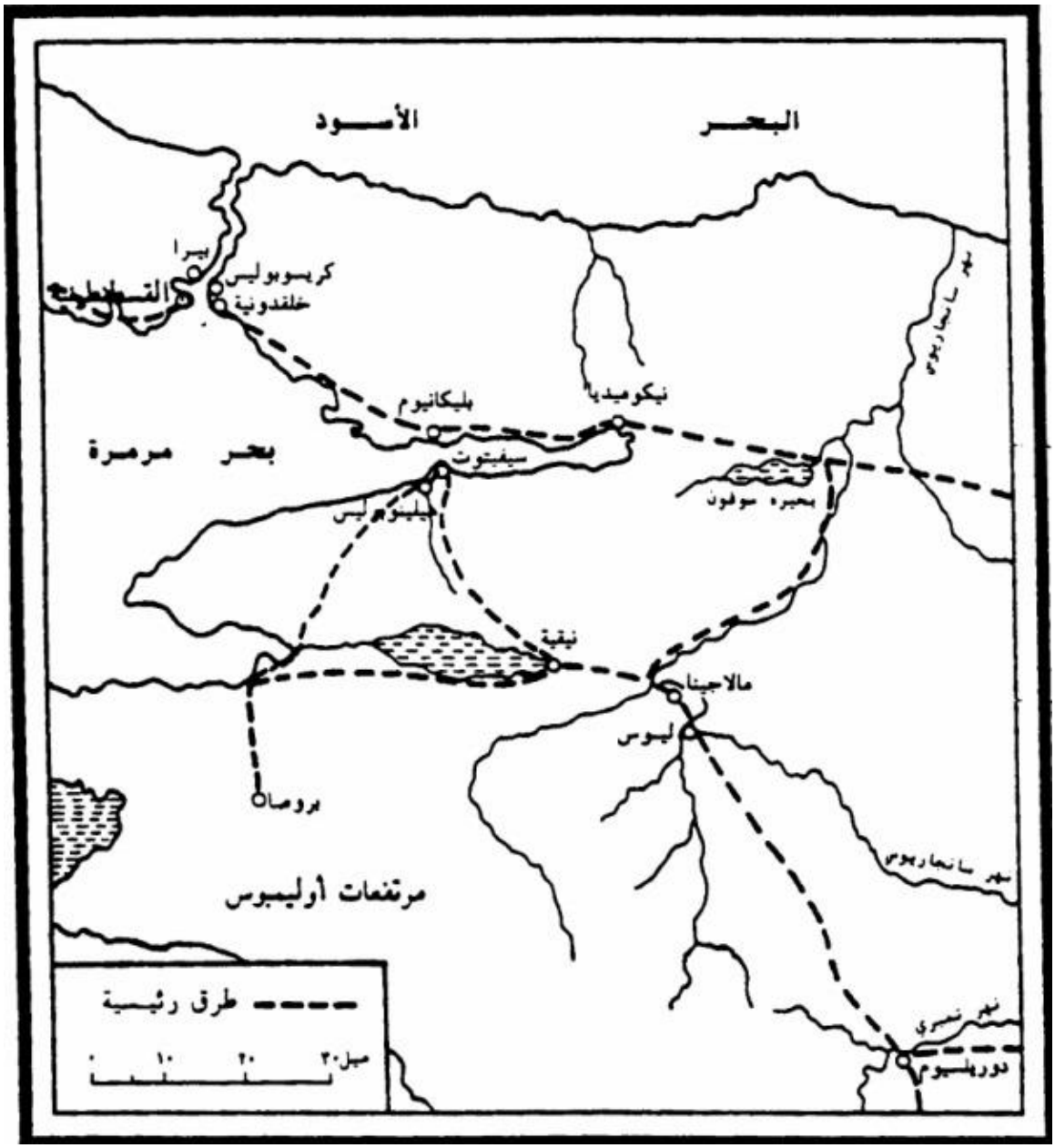

نيقية في وقت الحروب الصليبية.

***ستيفن رانسيمان، المصدر السابق، ج1، ص218.**

ملحق رقم10:

القادة الصليبيون الأربعة.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص47.**

ملحق رقم11:

زحف القوات الصليبية نحو أنطاكية.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص49.**

ملحق رقم12:

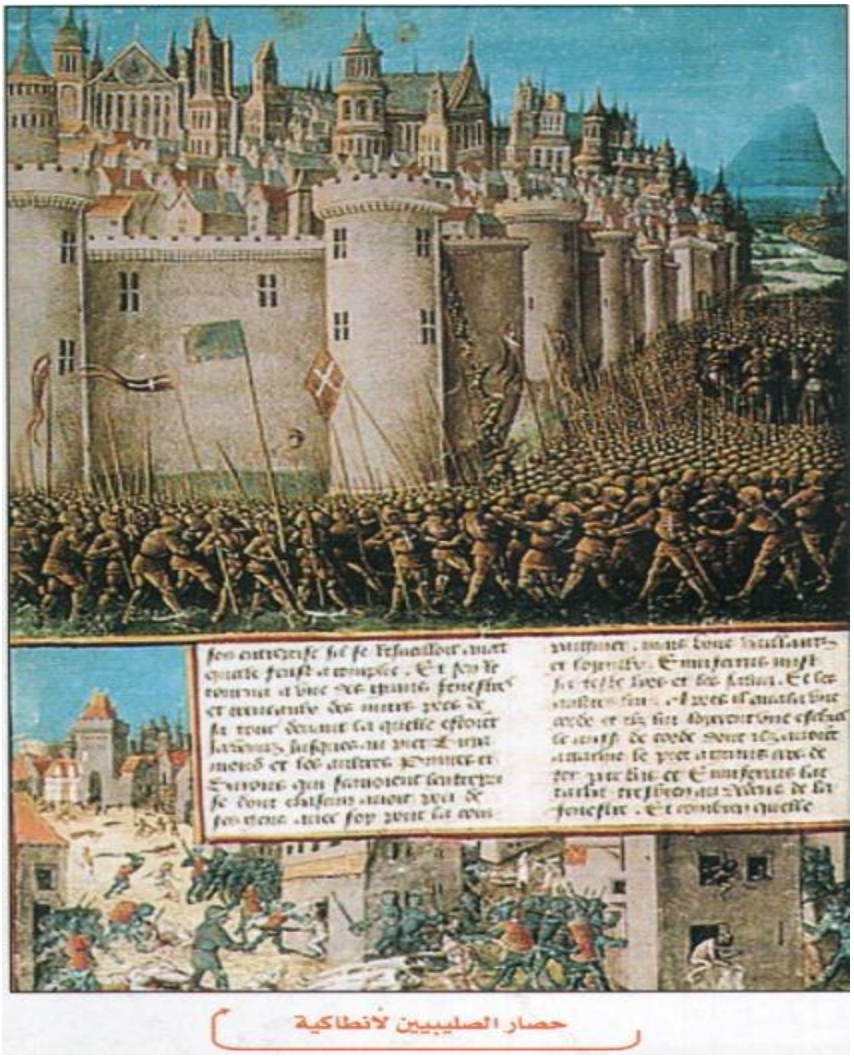

حصار الصليبيين لأنطاكية.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص48.**

ملحق رقم13:

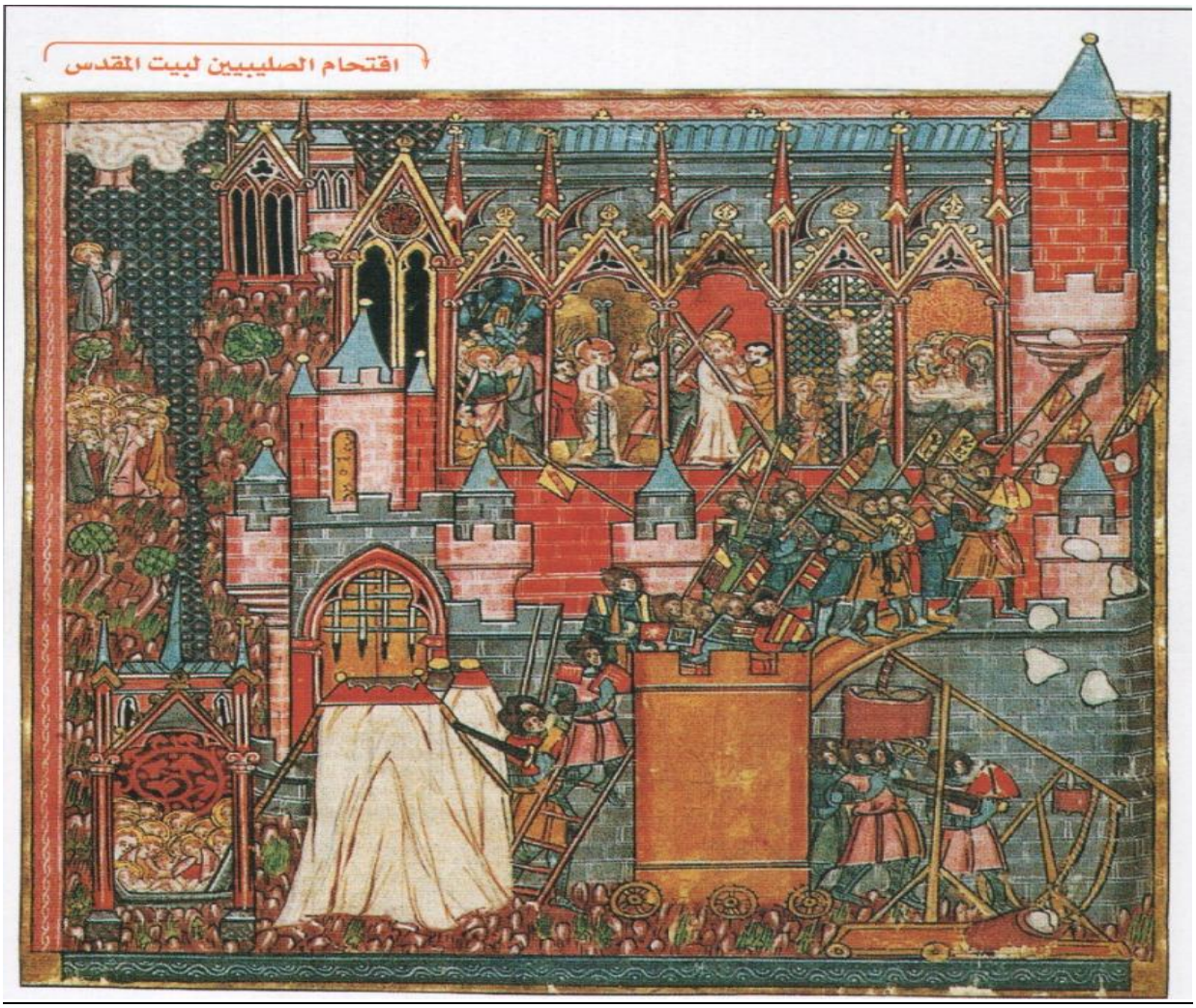

اقتحام الصليبيين لبيت المقدس.

***أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص67.**

ملحق رقم 14:

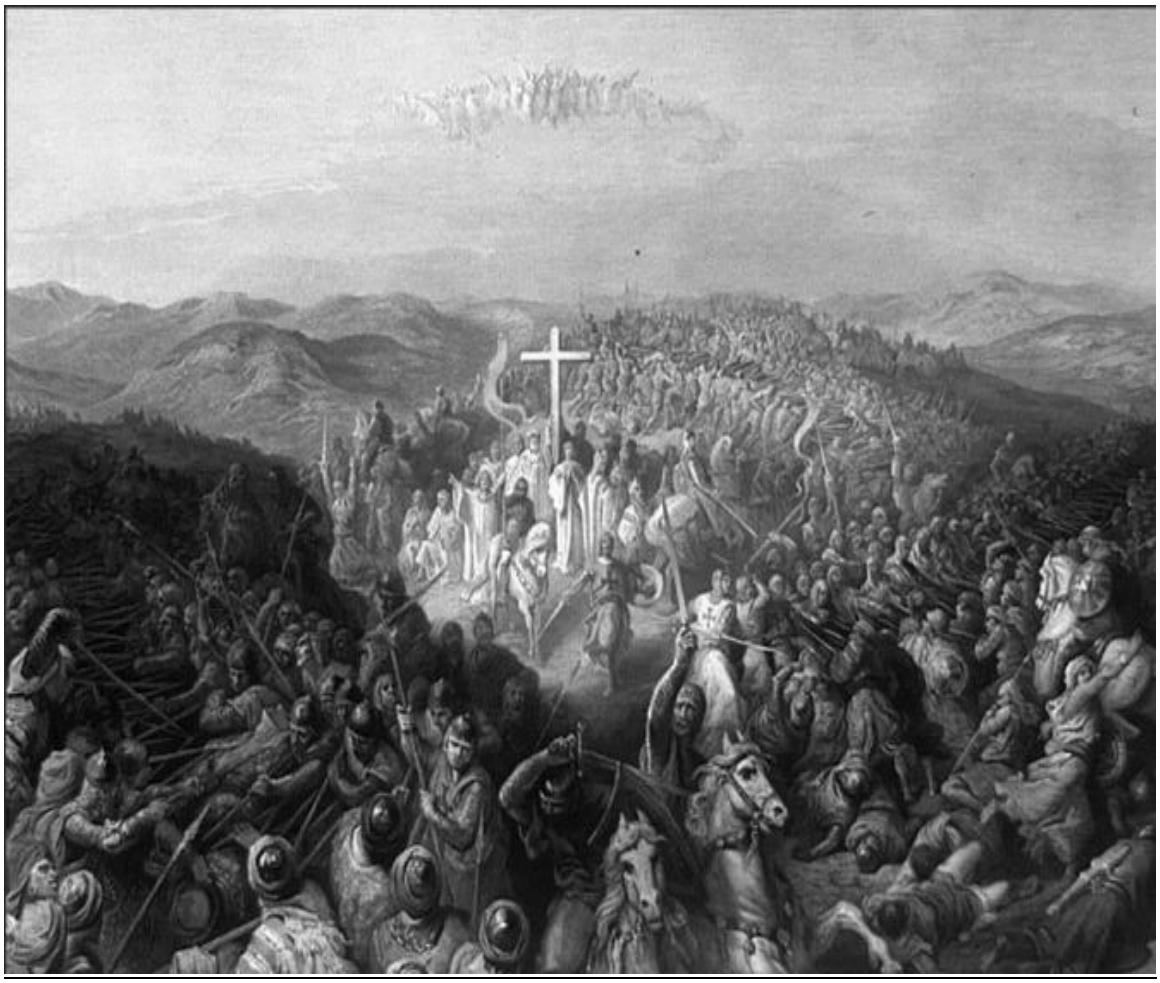

موقعة عسقلان

وقعة عسقلان في وقت الحروب الصليبيةBing images - يوم2023/06/02، على 20:55.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصـــادر والمراجـــع

أولا-المصادر:

القرآن الكريم.

أ-المصادر العربية:

1-ابن أبيك أبي بكر بن عبد الله**(ت 732هـ/1331م)**، كنز الدرر وجامع الغرر "الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب"، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، (د.د)، (د.ط)، القاهرة، 1972م.

2-ابن الأثير**(ت 630هـ/1232م)**، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، د.ط، القاهرة، 1963م.

3-ابن الأثير**(ت 630هـ/1232م)**، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1987م.

4-ابن الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف البغدادي **(ت 654هـ/1256م)**، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس حسن، دار الرسالة العلمية، ط1، دمشق،2019م.

5-ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد **(ت 597هـ/1201م)**، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1992م.

6-ابن الطقطقا محمد بن علي بن طباطبا**(ت 709هـ/1311م)**، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

7-ابن العبري غريغوريس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي(**ت 685هـ/1286م**)، تاريخ مختصر الدول، تص: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط2، لبنان، 1994م.

8-ابن العديم(**ت 660هـ/1262م**)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح. سهيل زكار، دار الفكر، (د.ط)، بيروت،1988م.

9-ابن العديم(**ت 660هـ/1262م**)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط1، القاهرة، 1997م.

10-ابن القلانسي أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي(**ت 555هـ/1160م**)، تاريخ دمشق، تح سهيل زكار، دار حسّان، ط1، دمشق، 1983م.

11-ابن القلانسي(**ت 555هـ/1160م**)، ذيل تاريخ دمشق، (د.ط)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،1908م.

12-ابن المقفع(**ت 377هـ/987م**)، تاريخ مصر، تح: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولى، ط1، القاهرة، 2006م.

13-ابن تغري(**ت 874هـ/1469م**)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت،1992م.

14-ابن خلدون عبد الرحمان(**ت 808هـ/1406م**)، تاريخ ابن خلدون، مر: سهيل زكار، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 2000م.

15-ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد(**ت 681هـ/1282م**)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.

16-ابن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد(**ت 885هـ/1480م**)، اتحاف الورى بأخبار أمر القرى، تح: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 2005م.

17-ابن مسكويه أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب(**ت 421هـ/1030م**)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م.

18-الإدريسي الشريف(**ت 561هـ/1166م**)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

19-الأصفهاني(**ت 597هـ/1201م**)، تاريخ دولة آل سلجوق، تق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2004م.

20-الأنطاكي يحيى بن سعيد بن يحيى(**ت 458هـ/1067م**)، تاريخ الأنطاكي "المعروف بصلة تاريخ أوتيخا"، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان، 1990م.

21-البغدادي محمد بن الطاهر(**ت 429هـ/1038م**)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.

22-الثعالبي أبي منصور عبد الملك النيسابوري(**ت 429هـ/1038م**)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1985م.

23-الحريري(**ت 926هـ/1519م**)، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، 1981م.

24- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(**ت 676هـ/1228م**)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1977م.

25-الحنفي محمد بن أحمد بن إياس(**ت 931هـ/1524م**)، المختار في بدائع الزهور، تح: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ،1975م.

26- خسرو أبو المعين ناصر خسرو علوى(**ت 482هـ/1088م**)، سفر نامة، تر: يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر، 1993م.

27-الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(**ت 748هـ/1374م**)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، لبنان، 1995م.

28- الذهبي(**ت 748هـ/1374م**)، العبر في خبر من عبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1985م.

29- الذهبي(**ت 748هـ/1374م**)، دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت، 1999م.

30- سرهنك إسماعيل(**ت 1343هـ/1924م**)، حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، ط1، مصر، 1894م.

31- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر(**ت 911هـ/1505م**)، تاريخ الخلفاء، دار المنهاج، ط2، جدة، 2013م.

32- السيوطي(**ت 911هـ/1505م**)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية، ط1، د.ب، 1964م.

33- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(**ت 548هـ/1153م**)، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1992م.

34- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك(**ت 764هـ/1362م**)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000م.

35- عمارة اليمني أبو محمد عمارة بن أبي الحسن بن علي بن زيدان بن أحمد(**ت 569هـ/1174م**)، النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، تص: هرتويغ درنبرغ، مطبع مرسو، (د.ط)، شالون، 1897م.

36- العمري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى بن أحمد(**ت 749هـ/1349م**)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

37- الفارقي أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق(**ت 577هـ/1181م**)، تاريخ الفارقي، الدولة المروانية، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959م.

38- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود(**ت 682هـ/1283م**)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ط).

39- القلقشندي أبي العباس أحمد(**ت 821هـ/1418م**)، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

40- المقدسي ابن طاهر (**ت 355هـ/966م**)، كتاب البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ب)، (د.ت).

41- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله(**ت 375هـ/985م**)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، مدينة ليدن المحروسة، 1906م.

42- المقريزي تقي الدين بن أحمد بن علي**(ت 845هـ/1441م)**، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.ط)، القاهرة، 1996م.

43- المقريزي**(ت 845هـ/1441م)**، الخطط المقريزية، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوى، مكتبة مدبولى، ط1، القاهرة، 1997م.

44- النويري**(ت 734هـ/1333م)**، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: د/علي بوملحم، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 2004م.

45- اليافعي عبد الله بن أسعد بن علي**(ت 768هـ/1366م)**، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1997م.

ب-المصادر الأجنبية:

46- Anna Commena Alexiad, Translated by Elizabeth Dawes, Byzantine Series, Parentheses Publication,Cambridge, Ontarion, 2000.

ت-المصادر الأجنبية المعربة:

47-بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، تقديم جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، ط1، (د.ب)، 1998م.

48- دانيال الراهب، وصف الأرض المقدسة، تر وتع: سعيد عبد الله البيشاوي وداود إسماعيل أبو هدبة، دار الشروق، ط1، عمان، 2003م.

49- رانسيمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية (المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي)، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

50- رانسيمان ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم، تر: نورالدين خليل، الهيئة المصرية العامة، ط1، الإسكندرية، 1998م.

51- ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1989م.

52- الشارتري فوشيه، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، تر: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2001م.

53- الشارتري فوشيه، تاريخ الحملة الى القدس، تر: زياد العسلي، دار الشروق، الأردن، 1990م.

54- الصوري ويليام، الحروب الصليبية، تر: د/حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1992م.

55- مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م.

ثانيا-المـراجع:

أ-المراجع العربية:

1-أبو فارس محمد عبد القادر، تأملات ودروس في الحروب الصليبية، جهينة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2002م.

2-أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1991م.

3-بدوي عبد الرحمان، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1973م.

4-بدوي عبد الرّحمان، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية، ط1، بيروت، 1995م.

5-البيطار أمينة، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق، ط1، دمشق 1980.

6-توفيق عمر، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، 1986م.

7-الجنزوري علية عبد السميع، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ب)، 1999م.

8-الجنزوري، علية عبد السميع امارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2001.

9-حارثي عبد الله بن ناصر بن سليمان، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة، الثاني عشر والثالث عشر للميلاد- الدار العربية للموسوعات- ط1، بيروت، 2007.

10-الحافظ محمد: تاريخ بيت المقدس، من الفتح العمري حتى نهاية العهد الأيوبي، دار الرازي، ط1، الأردن، 2003.

11-حامد ناصر محمد، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري، عهد نور الدين وصلاح الدين، مكتبة الكوثر، الرياض، 1998.

12-حبشي حسن، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، ط1، مصر، (د.ت).

13-الحريري سيد علي، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، المطبعة العمومية، ط1، مصر، 1317هـ/1899م.

14-الحسن عيسى، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2008م.

15-حسنين عبد المنعم محمد، دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1975م.

16-الحسيني الحسيني معدّي، صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق وأسطورة الغرب، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2013م.

17-حلاق حسن: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى: الأندلس، صقلية، الشام، الدار الجامعية، ط1، بيروت1986.

18-خليل عماد الدين، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، دار ابن كثير، (د.ب)، 2005م.

19-دعكور عرب، الدولة الفاطمية تاريخها السياسي والحضاري، دار المواسم، ط1، د.ب، 2004م.

20-الراوندي محمد بن علي: راحة الصدور وآية السرور، تصح: محمد إقبال، د.د.ن، ليدن، 1921،

21-رمضان عبد العظيم، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

22-زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ب)، (د.ت).

23-زكار سهيل، الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995م.

24-زكار سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الرسالة، ط1، دمشق: 1972.

25-السرجاني راغب، قصة الحروب الصليبية، مؤسسة اقرأ , ط1 ، القاهرة، 2008.

26-الشامي أحمد، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، القاهرة،1985م.

27-شاهين إلياس، الصليبيون في الشرق، د.د، د.ب، 1986م.

28-الشنقيطي محمد بن مختار، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، الشركة العربية للأبحاث والنشر، (د.ط)، بيروت، 2016م.

29-الشيخ محمد محمد مرسي، الامارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، الاسكندرية، 1980.

30-الشيخ محمد محمد مرسي، عصر الحروب الصليبية في الشرق، (د.د)، (د.ب)، 1996م.

31-الصاوي أحمد السيد، مجاعات مصر الفاطمية، دار التضامن، ط1، بيروت، 1988م.

32-طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق،429-590 هـ /1038- 1194 م، دار النفائس، ط1، الأردن، 2010.

33-طقوش محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس، ط1، بيروت، 2011م.

34-طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط3، بيروت، 2009م.

35-عارف الباشا العارف، تاريخ القدس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994م.

36-العارف عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، ط5، القدس، 1999م.

37-عاشور سعيد عبد الفتاح، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، القاهرة، 1964م.

38-عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

39-عاشور سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى (النظم والحضارة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.

40-عاشور سعيد عبد الفتاح، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط، القاهرة، 1972،

41-عاشور سعيد عبد الفتاح، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة التاريخية، مصر، 1969م.

42-عبد الحليم عويس، الحملات في أواخر الخلافة العباسية، رابطة العالم الإسلامي، السعودية، 2006م.

43- السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، دار النهضة العربية، د.ط ، القاهرة، 1962م، ص45.

44-عشري عثمان عبد الحميد، الاسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، المكتبة التاريخية، القاهرة، 1983م.

45-عطية عزيز سوريال، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، تر: فيليب صابر سيف، دار الجيل، ط2، القاهرة، (د.ت).

46-عطية علي سعود، تاريخ الحروب الصليبية، الشركة المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، مصر، 2010م.

47-علي حسين درة، إمارة بني عمار في طرابلس مجاهدون حتى النهاية، مكتبة الكتب، ط1، القاهرة، د.ت.

48-عمران محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000م.

49-عوض محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، (د.ب)، 1999م.

50-الغامدي مسفر بن سالم عريج، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار المطبوعات الحديثة، ط1، جدة، 1986م.

51-غانم حامد زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983م.

52-فهمي محمد مقبل، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، (د.د)، (د.ط)، مصر، (د.ت).

53-قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، 1990م.

54-الكناني مصطفى، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى (أضواء جديدة على الحركة الصليبية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، الإسكندرية، 1981م.

55-محسن محمد صالح، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، مركز الزيتونة، للدراسات والاستشارات، بيروت، 2010م.

56-المطوي محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982م.

57-المعاضيدي خاشع، سوادي عبد محمد وآخرون تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط2، الموصل، 1986،

58-المغلوث سامي بن عبد الله بن احمد، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط1، شركة الأبحاث والتطوير، الرياض،2009م.

59-مهران محمد بيومي، بلاد الشام (مصر والشرق الأدنى القديم)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.

60-النقر محمد حافظ، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، دار البداية، ط1، (د.ب)، 2006م.

61-ياسين السويد، حروب القدس في التاريخ الاسلامي، دار الملتقي، ط1، بيروت، 1997م.

ب-المراجع الأجنبية:

Thompson James Westfall: - Economic and Social History of -62 the Middle Ages 300-1300, Frederick ungar Publishing. co, N.Y. 1928, Vol.I.

Vasiliev:A History of the Byzantin Empire 324-1453, the -63 University of Wisconsin Press, Madison, London,1952.

ج-المراجع الأجنبية المعربة:

64-زابوروف ميخائيل، الصليبيون في الشرق، تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986م.

65-سميث جوناثان ريلي، الحملة الصليبية الأولى، تر: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، (د.د)، 1999م.

66- ماير هانس ابرهارد، تاريخ الحروب الصليبية، تر: عماد الدين غانم، اللاذقية، 2008م.

67- متز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

68- هايد ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، الإسكندرية، 1985م.

ثالثا-الموسوعات والمعاجم:

1-عكام محمود، الموسوعة الاسلامية الميسرة، دار صحاري، ط1، دمشق، د.ت، ج3.

2-المعجم الوسيط، اشراف: شوقي ضيف وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة،2004م.

رابعا-الرسائل والأطروحات الجامعية:

1-أحمد بن جبرة، دور المغاربة والأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين5هـ-9هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر-2-، 2010-2011م.

2-أمجد حافظ حسين طاعة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر وبلاد الشام (1098م-1173م)، أطروحة مكملة للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012م.

3-الحلاق حازم أحمد سليم، الأوضاع الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية والسياسية للمشرق الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، (334-490هـ/945-1097م)، رسالة ماجستير، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م.

4-زينب خيرالدين، الأوضاع السياسية للساحل الشامي ما بين (585-690هـ/1189-1291م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، إشراف: اكتمال إسماعيل، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2016-2017م.

5-سحنًي بغداد، دور الدولة الفاطمية في التصدي للعدوان الصليبي على الشام ومصر 488 -567هـ / 1095 -1171م)، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ مرقونة ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، 2009-2010م.

6-عامر غسان الشدود، الإمارة المنقدية في شيزر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستر في تاريخ العرب والاسلام، إشراف: د/ وفاء جوني بوكنة، جامعة تشرين، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سوريا، 2016م.

7-علي فيصل عبد العزيز العامري، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب-قسم التاريخ-، جامعة الكوفة، 2007م.

8-مبروك بن مسعود، النشاط الاقتصادي لمملكة بيت المقدس الصليبية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تخصص المغرب الوسيط، إشراف: د/عبد العزيز بوكنة، جامعة الجزائر (2)، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2018-2019م.

خامسا-الدوريات والمجلات:

1-إيهاب علي محمد زاهر، الحياة السياسية والاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري\ الحادي عشر الميلادي، مجلة أفاق للعلوم، ع7، جامعة الجلفة.

2-حماد منى، الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي (490 هـ - 586هـ/ 1097 م - 1191 م)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس.

3-عوض محمد مؤنس، أ.د سعيد عبد الفتاح عاشور، مؤرخا للحروب الصليبية، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ع46، مج02، 2008م.

4- فـؤاد طــوهــارة، المواجهة بين الاسلام والمسيحية ما بين القرنين 5-6 هـ / 11-12 – الفاطميون والغزو الصليبي- ، مداخلة في الملتقى الدولي الموسوم: البحر الأبيض المتوسط مجال التنافس بين الاسلام والمسيحية عبر التاريخ، المركز الجامعي أحمد بن عبد الرزاق حمودة سي الحواس ، بريكة ، أيام: 20-21 فيفري 2023.

5-كريبي خالد، موقف الدولة الفاطمية من الحروب الصليبية، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات، الجزائر، ع2، مج10، 2022م.

فَـهرس المحتـويات

المكونات **الصفحة**

الإهداء ..... **I– II**

الشكر والتقدير..... **III**

قَـــــائمة المختصرات ..... **VII**

المقـــدِمة..... **أ–ذ**

الفَصل الأَول: الحوض الشرقي للبحر المتوسط مجال للصراع والمواجهة..... 1–54

المبحث الأول: أوضاع الشرق الأدنى الإسلامي قبيل الغزو الصليبي..... 1–19

أولا: الأوضاع السياسية والعسكرية..... 1-9

أ–توسع السلاجقة في بلاد الشام..... 1-4

ب– تفكك بلاد الشام وانقسامها..... 4-5

ج–واقع الامارات العربية في بلاد الشام..... 6-8

د–تفكك الحكم الفاطمي وانهياره ببلاد الشام..... 9

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية في الشام..... 10-15

أ–الزراعة..... 10-12

ب–الصناعة..... 13-14

ج–التجارة..... 14-15

ثالثا: الأوضاع الدينية..... 15-19

أ–الأقليات العرقية..... 16

ب–الطوائف والنحل..... 17-19

المبحث الثاني: أسباب قيام الحملة الصليبية الأولى.....20-35

1- الأسباب الدينية.....20-22

2-الأسباب الاقتصادية.....22-25

3-الأسباب الاجتماعية.....25-27

4-الأسباب السياسية.....28-30

أ-خطاب البابا أوربان الثاني.....30-31

ب- الحملة الصليبية الشعبية.....31-35

المبحث الثالث: أحداث ووقائع الحملة الصليبية الأولى.....36-41

1-حملة الأمراء وتداعياتها.....36-38

2-النتائج الأولية للحملة الصليبية.....38-41

المبحث الرابع: نتائج الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام.....42-54.

1-سقوط أنطاكية.....42-47

2-سقوط بيت المقدس.....48-52

3-موقعة عسقلان.....52-54

الفَصل الثَاني: الفاطميون والعدوان الصليبي على بلاد الشام.....55-87

المبحث الأول: التحالف الفاطمي الصليبي وأثره على حصار أنطاكية.....55-68

المبحث الثاني: الاحتلال الصليبي على بيت المقدس وموقف الفطميين منه.....69-76

المبحث الثالث: موقف الفاطميين من الصليبيين عقب سقوط عسقلان.....77-87

الفصل الثالث: أثر العدوان الصليبي في بلاد الشام على العلاقات الإقليمية.....88-117

المبحث الأول: العلاقات الفاطمية العباسية.....88-96

المبحث الثاني: علاقة الفاطميين بالصليبيين.....97-108

المبحث الثالث: العلاقات الفاطمية السلجوقية.....117-109

أولا: موقف السلاجقة من الدعوة الفاطمية في العراق.....111-109

ثانيا: دخول السلاجقة بلاد الشام وموقفهم من الدولة الفاطمية.....117-109

خـاتـمة.....119-118

الملاحق.....134-120

قائمة المصادر والمراجع.....150-135

الملـخـص:

تعتبر فترة الحروب الصليبية من أصعب الفترات التي مرت على العالم الإسلامي، فمنذ أواخر القرن 5هـ/11م بدأت حملاتها تتلاشى على المشرق الإسلامي وخاصة بلاد الشام.

كانت القوى الإسلامية في ذلك الوقت موزعة بين الخلافة العباسية الضعيفة المعتمدة على قوة السلاجقة المناصرة للعباسيين، أما القوى الأخرى فكانت الدولة الفاطمية صاحبة المذهب الشيعي، التي كانت تسيطر حينها على مصر وبلاد الشام، وفي الوقت الذي تصدى فيه السلاجقة للحملات الصليبية منذ بدايتها رغم ضعف دولتهم جاء موقف الدولة الفاطمية مغايرا لذلك، حيث غابت فيه نجدتهم للمسلمين، والدفاع عن الامارات الإسلامية رغم القوة التي كانت تمتلكها.

الكلمات المفتاحية: الحملات الصليبية–الفاطميون–بلاد الشام–المذهب الشيعي–الامارات الإسلامية.

Abstract: The period of the Crusades is considered one of the most difficult periods for the Islamic world. Since the end of the 5th century AH/11 AD, its campaigns had begun to fade in the Islamic world, especially in the Levant.

The Islamic forces at that time were divided between the weak Abbasid caliphate, which relied on the power of the pro-Abbasid Seljuks, and the other power was the Fatimid state, from the Ismaili Shiit school of jurisprudence, which at the time-controlled Egypt and the Levant. At a time when the Seljuks repelled the Crusades from their beginnings. despite the weakness of their state, the position of the Fatimid state was different from that, as their help to the Muslims was absent, and defending the Islamic Emirates was absent despite the power they possessed.

Key words: Crusades-Fatimids-Levant-Shiism-Islamic Emirates.